

تأليف

د/ محمود محمد بابللي



بسم الله الرحمن الرحيم



المقـــدمة

إن بحث معانى الأخوة فى الاسلام ومقاصدها ، لا يخرج عن كونه تذكيراً لكل مسلم بأن يتخلق بها ، وأن تكون صفة لاصقة به ، لأن المسلم الغيور على إسلامه يحرص على أن لا يكون مثلاً سيئاً عما يعتقد به .

وإن هذه المعانى الكريمة التى يتضمنها وصف الله لعباده المؤمنين بأنهم إخوة ، لا أثر لها إن لم تبرز فى أقوال وتصرفات كل فرد مسلم مع أخيه فى الاسلام ، لأن المؤمن مرآة أخيه ، وهو كذلك مع كل إنسان آخر ، لأن المسلم عندما يتعامل مع الآخرين ، يتعامل معهم بما يفرضه عليه دينه ، لأنه صورة واحدة لا تتغير فى التعامل مع غير المسلمين ، كما هو بارز فى تصرفات من انحرفوا عن الأخذ بأوامر دينهم تحريفاً لها وتزييفاً ، فزعموا أنَّ صدق المعاملة مطلوب منهم مع أبناء دينهم فقط ، وانه ليس عليهم فى الأميين سبيل .

وان وصف رب العالمين لعباده المؤمنين بأنهم اخوة فى الايمان كان حقيقة قائمة فيهم ، برزت آثاره فى المؤاخاة التى حققها رسول الله ﷺ بين المهاجرين والأنصار ، فكانت من أعظم العوامل التى أدت إلى قيام المجتمع الاسلامى الأول بتضامنه وتماسكه وتعاونه ،

فجعلت منه جبهة متراصة فى وجه أعداء الاسلام من اليهود والمشركين ، من قريش وحلفائهم ، تصاغر أمامها جبروتهم ، وتحطمت عليها صلابتهم ، ولم ينفعهم كيدهم شيئاً ، وكانت الدائرة عليهم ، وأقبل الناس يدخلون فى دين الله أفواجا .

ولو لم يتخلق المؤمنون الأولون بمعانى الأخوة فى الاسلام لما تحققت لهم الغلبة ، ولما كان الله ليمكن لهم فى الأرض .

وان المطلع على سيرة هؤلاء السابقين ليأخذه العجب ، كيف انهم تمكنوا فى فترة وجيزة من الزمن ، ان تخفق راياتهم فى جنبات الأرض ، وان يدكوا عروش الجبابرة ، وان يقضوا على وجودهم ، فلا كسرى ولا قيصر ولا المقوقس ، وانما هو العدل والمساواة بين المواطنين ، وإعلاء كلمة الله مدوية فى كل مكان .

إن هذه الحقيقة لا يستطيع أن ينكرها أحد ، وإن العامل الأكبر فى تحقيق أكبر نصر عرفه التاريخ واسرعه ، واعظم فتح ، تفتحت له القلوب لنتائجه الخيّرة ، وآثاره الحميدة ، كان فى تحقيق معانى الأخوة الايمانية فى نفوس هؤلاء الفاتحين ، وإبراز مقاصدها فى اقوالهم وتصرفاتهم .

وان انحسار هذا المدّ تدريجياً عن البلاد التى توصل إليها الفاتحون الأولون من المسلمين كان بسبب تفاعس الخلف عما أخذ به اسلافهم ، وضعف عوامل الايمان فى نفوس من جاء بعدهم .

وان واقع المسلمين اليوم ليؤكد لنا أنَّ هذه الأخوة فى الايمان لم تعد لها تلك الفعالية ، وان مقاصدها أصبحت كلمات جوفاء لا حقيقة لها ، وإن القليل من المسلمين اليوم يعطونها ذات الأهمية التى

كانت لها من قبل ..

حتى إن بعض من ينتسب إلى الاسلام اليوم يصعب عليه تصديق ما يرويه لنا التاريخ عن المحبة والايثار والتآزر والنجدة التى كانت خلائق أولئك الأجداد ، فكيف بغير المسلمين الذين يصل إليهم الاسلام صورة مشوهة بفعل كثير من ابنائه ؟ .

إن مسؤولية من تسبب فى هذا الانحسار كبيرة جداً ، وهى مسؤولية أكبر على من عرف أسباب ذلك ولم يسارع فى استدراك ما يمكن استدراكه ..

والاسلام ليس ديناً قومياً ، وليس ديناً تاريخياً ، أى لزمن مضى ، وانما الاسلام دين ختم الله به الأديان ، وفرضه على الناس كافة إلى يوم القيامة ، أخذ به من أخذ ، واعرض عنه من أعرض .

وإن من واجب كل مسلم غيور على دينه ، وحريص على انتسابه إلى الاسلام ، أن يتساءل أين مكانه من أوامر هذا الدين ونواهيه ؟ . وان يحاسب نفسه بصدق عن تفريطه ، وان يعاهد الله على تدارك ما يستطيعه بنفسه ، ومن ثم بأولاده ، وبعدها فى بيئته ، لأنه مسؤول عن نفسه أولاً ، وعمّن يعوله ثانياً ، وعمن يتصلون به فيما اذا اعطاهم من نفسه صورة مشوهة عن الاسلام ثالثاً وأخيراً .

إن هذه المسؤولية قد لا يتصورها على حقيقتها من ظن أنه غير مسؤول عن غيره ، مادام يقرأ قوله تعالى :

﴿يآ أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا

اهتديتم﴾[١]

ويفهمه على أنه ناج من المسؤولية فيما إذا كان مهتدياً بنفسه ..
وقد قال عن هذه الآية أبوبكر الصديق ـ رضى الله عنه ـ :
أيها الناس إنكم تقرأون هذه الآية وتضعونها غير موضعها ،
وإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«**إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه عمهم الله بعقابه**»

وهل هناك انكر من أن نتنكّر للدين ، وان لا نعمل بأوامره ونواهيه ؟ .

وإن أول منكر يجب أن يغيره المسلم ما يجده فى نفسه مغايراً لأوامر الاسلام ، ومن لم يستطع تغيير ما بنفسه فهو أعجز من أن يغير المنكر فى غيره ..

ولذلك كانت المسؤولية فى الاسلام فردية ، فلا يؤاخذ المرء عما ارتكبه غيره لقوله تعالى :

﴿من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضلَّ فإنما يضل عليها ولا تزر وازرةٌ وزر أخرى﴾[٢]

هذا فيما إذا كان ناجياً مما يقارفه الآخرون من منكرات .
غير أن هذه المسؤولية لا تغنيه ، وان كان بريئاً من ذنوب الآخرين حتى يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، تجنباً من الوقوع فى المؤاخذة التى تشمل الجميع عند تخلفهم عن تحقيق هذا الأمر

---

(١) سورة المائدة ، الآية ١٠٥ .
(٢) سورة الإسراء ، الآية ١٥ .

والنهى لقوله تبارك وتعالى :
﴿واتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا منكم خاصة واعلموا أن الله شديد العقاب﴾[1]

لأن السكوت عن الأخذ على يد الظالم مشاركة له فى ظلمه ، فلا بد ـ للتخلص من هذه المسؤولية ـ أن يعلن المسلم استنكاره للظلم من أى مصدر كان .. فان لم يقلع الظالم عن ظلمه يكون من أنكر هذا الظلم قد اعذر من نفسه ..

وإن التزام الأمة الاسلامية فى باكورة أيامها بالدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وتحقق ذلك فيهم ، جعل منهم أمّة اخرجت للناس .

٣ـ وإننى أردت من تقديمى لمعانى الأخوة فى الاسلام وبيان مقاصدها أن أذكر كل مسلم أنه مسؤول وحده عن تطبيق هذه المعانى فى نفسه .. فإذا ما تيسر له تطبيقها يكون انعكاسها على تصرفاته معينا له فى تطبيقها على أفراد أسرته ، ويكون أسوةً لغيره ممن يشاهده ، فيذكره بحسن سلوكه أن يتأسىّ به ، ودافعاً إلى إيمان غير المسلم بهذا الدين تأثراً من أخلاق هذا المسلم وانفعالاً بها .. وبذلك يكون له أجر من تأسىّ به وأخذ عنه إلى يوم القيامة ، لا ينقص من أجورهم شيئاً .

وإنه بالمقابل يبوء بإثم من تأسىّ به فى السلوك السىء .

وإن هذه المعانى والمقاصد ليست مثالية يصعب على المسلم

---

(١) سورة الأنفال . الآية ٢٥ .

التخلق بها ، كلاً ، بل إنها صفات واقعية ، سبق لاسلافنا التخلق بها ، وانه بحمد الله لا يزال هنالك من يتخلق بها على الرغم من قلتهم ، فهى ليست اخلاقاً خيالية ، واعتقد أنه لا يوجد فى المسلمين من يزعم أن الالتزام بهذه المعانى ليس فرضاً على كل مسلم ومسلمة ، غير أن ضعف الهمة وغلبة الشهوات قد باعدت أكثرنا عن الأخذ بهذه المعانى ، وإن كنّا جميعاً على يقين من أنها فى صالح الفرد كما هى فى صالح الأمة بأسرها .

وإننى لا أملك من الأمر غير التذكير ، ولعل فى هذا التذكير دافعاً للعزائم الكامنة لأن تبرز للوجود ، وان تتغلب على عناصر الضعف فى النفس الانسانية ، وان ترتفع بها إلى المستوى اللائق بها .

﴿ذلك بأنّ الله لم يك مغيراً نعمة انعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم﴾ (١)

والله من وراء القصد وهو الهادى إلى سواء السبيل .

الدكتور محمود محمد بابللى

الريـــاض سنة ١٤٠٥هـ

(١) سورة الأنفال ، الآية ٥٣ .

الباب الأول
إنما المؤمنون اخوة .

الفصل الأول : معنى الأخوة فى الاسلام .

المبحث الأول : إخوة الدم وإخوة العقيدة .

المبحث الثانى : مؤخاة الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار .

المبحث الثالث: المؤمنون إخوة ولو نشب بينهم قتال .

الفصل الثانى : مدلول الإيمان

الفرع الأول : تعريف الإيمان .

الفرع الثانى : أركان الإيمان .

الفرع الثالث : مستلزمات الايمان .

الفرع الرابع : اقتران الايمان بالعمل الصالح .

الفصل الأول
معنى الأخوة فى الإسلام

المبحث الأول
أخوة الدم وأخوة العقيدة

أولاً : أخــوة الــدم

الأخ : هو مشارك آخر فى الولادة من أب وأم ، ويقال له أخ شقيق . وسمى أخاً ، لأنه يتوخى مذهب أخيه ، أى يقصده .

أو من احدهما ، فيقال له : أخ لأب ، أو أخ لأم .

أو من الرضاع ، فيقال له : أخ من الرضاع .

وإن من تأثير هذه الصلة بين الأخوة ، ومدى المحبة والتماثل والتعاون القائم بينهم ، فقد استعار كثير من الناس ، كلمة «يا أخى» أو «يا أيها الأخ» عندما يريد أحدهم مخاطبة من لا يعرف اسمه .. أو ليست له به صلة سابقة ، فيتقرب إليه بهذه الصفة المحببة للناس جميعهم ، انه اقامه مقام أخيه فناداه بـ «يا أخى» .

وكذلك فى حال مخاطبة المتحدث المستمعين بأن يقول لهم «أيها الأخوة الأكارم» أو «إخوتى واخواتى ، كما نسمعه فى بعض الاذاعات والمحاضرات .

وهذا ما سبق إليه العرب فى تخاطبهم عندما يلتقى أحدهم بعربى غريب عنه ، ولا يعرف اسمه ، فيناديه : «يا أخا العرب» .

ولقد اختير وصف الأخوة دون الأبوة أو البنوة ، لأنها جامعة تماثل فى الاعتقاد والتفكير والعمل ، فشابهت تماثل الأخوين ، لأن الأخوة يلزمها التماثل .

وإن نسبة الأخوة تجمع أواصر كثيرة ، ففيها آصرة الانتساب والقرب ، وآصرة المحبة وآصرة الالفة ، وآصرة الصحبة ، وآصرة التماثل فى الطباع ، وآصرة الارتياح وترك التكلف ، ولذلك كانت آنس للنفس من نسبة البنوة والأبوة اللتين هما أقوى منها ، إذ تمتاز عليهما بما فى الأخوة من التجرد عن كلفة التوقير والمهابة والطاعة ، فصلة الأخوة شبيهة بالميل المجبول اختياراً ، ويظهر التمايز بينها بأنك ترى المرء فى مقام استمداد البر والطاعة يقول لمن يستمد منه يا ولدى ، وهو فى مقام استمداد العطف والسماحة يقول : يا أخى [1]

وإن اخوة الدم المنحدرة من أبوين ، هى من حيث الترابط والتناصر أمر معروف ومشهور ، وإن رثاء الخنساء لأخيها صخر من أروعِ ما قالته أخت فجعت بمقتل أخيها . ويقال أن الخنساء ليست اختاً شقيقة لصخر ، بل لمعاوية .

وقد يقع بين هؤلاء الأخوة الأشقاء ، وغير الأشقاء ، من الشحناء والمنازعات ما يصل بهم إلى سفك دماء بعضهم بعضاً ، كما حصل بين ولدى آدم عليه السلام ، وفقاً لما قصه علينا القرآن

---

(١) من كتاب « أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام » لمؤلفه محمد الطاهر بن عاشور . ص ١٢١

الكريم ، وكما حصل ويحصل فى العصور السابقة وفى عصرنا هذا .

وإن قصص المنازعات بين الأخوة ، أشقاء أو اخوة لأب أو لأم ، معروفة لدى القضاء ، وهى أشد خصومة من مثلها بين الغرباء ، وإن قصة يوسف عليه السلام مع اخوته لا تخفى على أحد .

غير أن الترابط والتناصر بين الأخوة ، مهما كانت درجة القرابة بينهم ، هو الأصل ، للوحدة التى تجمع بينهم ، وللحمية والعصبية التى تفرضها عليهم تربيتهم وتنشئتهم فى بيت واحد ، وان الشذوذ هو وقوع الاختلاف فيما بينهم لأنهم إخوة .

ولما كانت هذه الصلة الأخوية هى مضرب المثل فى التناصر والتعاون والتماثل ، فإن التشريع الاسلامى بنى عليها اخوة العقيدة ، لأنه ليست هناك آصرة تماثل أقوى منها .

ثانياً : أخـــوة العقيـــدة

تطلق كلمة أخ فى العقيدة على من يشارك آخر فى معتقده ، وقد يعبر عنه بلفظ «أخ فى الدين» أو «أخ فى الله» ، وهى الأخوة الإيمانية التى لا تقاربها رابطة مهما كانت وشائج القربى متينة .. وهذا المصطلح نشأ فى ظل الاسلام .

وقد ميز الاسلام هذه الأخوة الايمانية عن أخوة الدم ورفع من شأنها ، لأنها أخوة مستمدة من عناصر روحية لا تدانيها فى التقارب أخوة الدم .

وإذا ما اجتمعت أخوة الدم وأخوة العقيدة فقد بلغت الآصرة

بينهما أشدها ، وهذا ما نجده فى سؤال موسى عليه السلام ربه ، ان يشد عضده بأخيه هارون عليه السلام ، وقيل إنه اخوه لامه .

وان الاسلام لم يتجاهل هذا الأثر الغريزى الذى تبنى عليه أواصر القرابة ـ القريبة ـ فتبناه للتدليل على ما يريده من حقيقة الصلة بين أبناء العقيدة الواحدة ، وإنها صلة أخوة تفوق أخوة الدم ـ على ما لهذه الأخوة من صلة لا تدانيها من حيث التماثل صلة أقوى منها ، فقال عنهم : ﴿**إنما المؤمنون أخوة**﴾[1] .

وبنى عليها نتائج كبيرة سيمر معنا بعض منها باذن الله .

وكذلك فقد استعمل رب العالمين كلمة «أخ» للدلالة على الصلة الكبرى التى تربط الأنبياء أو الرسل بأقوامهم ، فقال عن قوم هود :

﴿**والى عاد اخاهم هودا**﴾[2] وقال عن قوم صالح :

﴿**والى ثمود اخاهم صالحاً**﴾[3] وقال عن قوم شعيب :

﴿**والى مدين اخاهم شعيبا**﴾[4]

للتأكيد على أن هذا الرسول المرسل إليهم هو منهم وأنه غير غريب عنهم ، أى أنه هو أخوهم . وكفى به تعريفاً وحجة على أنه منهم ، وانهم لا ينكرون صلته بهم ونشأته بينهم وقرابته لهم آمنوا به

---

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٠ .
(٢) سورة الأعراف ، ٦٥ .
(٣) سورة الأعراف ، ٧٢ .
(٤) سورة الأعراف ، الآية ٨٥ .

أم لم يؤمنوا .

وأن الأنبياء هم إخوة فى الايمان بالله ، وقد وردت بعض أحاديث عن رسولنا ﷺ فيما يتعلق بالأنبياء الذين سبقوه إنه أخ لهم ، فيقول عن يونس عليه السلام : «ذاك أخى كان نبياً وأنا نبى»(١) .

كما استقبله الأنبياء فى السماوات العلا عند عروجه إليها بقولهم له : «مرحباً بالنبى الصالح والأخ الصالح ، وبقولهم «مرحباً بك من أخ ونبى»(٢)

ويقول عليه الصلاة والسلام «الأنبياء أولاد علات»(٣) أى أن امهاتهم مختلفة وابوهم واحد واراد بذلك أن يكون إيمانهم واحداً وشرائعهم مختلفة(٤)

وهذا المعنى الأخوى استعمله الرسول ﷺ عندما وصف ما

---

(١) عندما ذهب الرسول ﷺ إلى ثقيف ليدعوهم إلى الإسلام أساءوا إليه حتى ألجأوه إلى حائط (بستان) لعتبة وشيبة ابنى ربيعة . فبعثا إليه بقطف من العنب مع غلام لهم اسمه عدّاس . فلما وضعه بين يديه قال الرسول ﷺ « بسم الله الرحمن الرحيم» ثم أكل . فنظر عدّاس فى وجهه ثم قال : « والله إن هذا الكلام ما يقوله أهل هذه البلاد . فقال رسول الله ﷺ « ومن أهل أى البلاد أنت يا عدّاس وما دينك ؟ فقال : أنا رجل نصرانى ، وأنا من أهل نينوى . فقال رسول الله ﷺ : « من قرية الرجل الصالح يونس بن متّى » فقال له عدّاس : وما يدريك ما يونس بن متّى ؟ فقال رسول الله ﷺ : « ذاك أخى ، كان نبياً وأنا نبى » فأكب عدّاس على رسول الله ﷺ يقبل رأسه ويديه وقدميه ، لأنه أخبره بأمر لا يعلمه إلا نبى (سيرة ابن هشام ج ٢ ص ٣٥) .

(٢) رواهما الإمام البخارى فى صحيحه .

(٣) من كتاب (النهاية فى غريب الحديث والأثر) لابن الأثير .

(٤) رواه الإمام أحمد .

بينه وبين أبى بكر الصديق من محبة خالصة مبنية على هذه العقيدة الايمانية فقال فى حقه .

إن من أمن الناس على فى صحبته وماله أبابكر ، ولو كنت متخذاً خليلاً غير ربى لاتخذت أبابكر خليلاً ، ولكن أخوة الاسلام ومودته» [1]

وفى رواية للإمام أحمد «ولكن ود واخاء إيمان ، ولكن ود واخاء ايمان . مرتين» وعندما خطب النبى ﷺ عائشة إلى أبى بكر قال له أبوبكر :

«إنما أنا أخوك» فقال «أنت أخى فى دين الله وكتابه ، وهى لى حلال» [2]

وقد قال عليه الصلاة والسلام لعمر بن الخطاب عندما استأذنه فى السفر لاداء نسك العمرة «يا أخى أشركنا فى صالح دعائك ولا تنسنا» [3] .

ومما تقدم يتحقق لنا أن معنى الأخوة فى الاسلام لا نظير له فى الشرائع الوضعية ، لأنه غير مبنى على أواصر الدم ، أو وشائج القربى أو المنافع المادية ... وإنما هو مبنى على الروابط الايمانية التى تربط فيما بين اصحاب العقيدة الاسلامية .

وهذا المعنى تؤكده الآية القرآنية المستشهد بها سابقاً «انما المؤمنون أخوة» فتجعل منهم أخوة عقيدة إيمانية لا تنفصم عراها الا

---

(١) رواه الإمام البخارى .
(٢) رواه الإمام البخارى .
(٣) رواه الإمام أحمد .

بالردة عن الاسلام ، والعياذ بالله .

ولنقرأ قوله تعالى :

﴿الاخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين﴾[1]

إن هذه الآية الكريمة تشير إلى استمرار أثر الحب فى الله إلى ما بعد الموت ، أى أن كل صداقة وصحابة لغير الله فانها تنقلب يوم القيامة عداوة الا ما كان لله عز وجل ، فانه دائم بدوامه .

وهذا كما قال إبراهيم عليه السلام لقومه :

﴿انما اتخذتم من دون الله أوثاناً مودة بينكم فى الحياة الدنيا ثم يوم القيامة يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا ومأواكم النار وما لكم من ناصرين﴾[2]

المبحث الثانى
مؤاخاة الرسول ﷺ بين المهاجرين والأنصار[1]

إن هذه الظاهرة التى أبرزها الرسول ﷺ عملياً بعد الهجرة إلى

---

(١) سورة الزخرف ، الآية ٦٧ .

(٢) سورة العنكبوت ، الآية ٢٥ .

(٣) يقول الأستاذ ظافر القاسمى فى كتابه (نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى) ص ٤٣ ، وكما آخى رسول الله ﷺ بين الصحابة فى مكة قبل الهجرة ، آخى بين المهاجرين والأنصار بعد الهجرة لنفس الأسباب السياسية والاجتماعية ، ولا ريب عندى أن هذا العمل الموفق الذى صنعه الرسول ﷺ كان من أعظم العوامل التى أدت إلى قيام مجتمع منسجم بقدر الإمكان يسوده روح الأخوة التى تؤدى إلى التسامح ، وإلى غض الأبصار عن كثير من العيوب والمساوىء ، قال السهيلى شارح السيرة «آخى رسول الله ﷺ بين اصحابه حين نزلوا المدينة ، ليذهب =

المدينة واستقراره فيها ، أن آخى بين المهاجرين والأنصار ـ أخوين أخوين ـ بقوله لهم «تآخوا بالله أخوين أخوين» وذلك توثيقاً للصلات الايمانية بينهم ، لم نشهد لها نظيراً ، ولم نعرف لها مثيلاً . وقد ايقنوا أن الواحد منهم سيرث أخاه فى العقيدة ، كما يرث إخوة الدم بعضهم بعضا ، حتى أنزل رب العالمين قوله ﴿**وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله**﴾[1] ، فصار الميراث بالرحم (العصبة) دون هذه المؤاخاة .

وقد دفعت هذه الأخوة الايمانية بين المهاجرين والأنصار ، ان عرض أحدهم (من الأنصار) على أخيه (من المهاجرين) أن يقاسمه ماله ، وأن يختار أياً من زوجتيه ليطلقها فيتزوجها بعد أن تنتهى من عدتها ، دون أى حرج أو تردد ، وقد كان عرضاً صادقاً وصادراً عن طيب نفس ونابعاً من أعماق قلبه .

«عن انس رضى الله عنه أن عبدالرحمن بن عوف رضى الله عنه قدم المدينة فآخى رسول الله ﷺ بينه وبين سعد بن الربيع الأنصارى رضى الله عنه ، فقال له سعد» .

= عنهم وحشة الغربة ، ويؤنسهم من مفارقة الأهل والعشيرة ، ويشد أزر بعضهم ببعض ، فلما عز الإسلام واجتمع الشمل ، وذهبت الوحشة ، أنزل الله سبحانه قوله ﴿**وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض فى كتاب الله**﴾ أعنى فى الميراث . ثم جعل المؤمنين كلهم اخوة فقال ﴿**إنما المؤمنون أخوة**﴾ يعنى فى التواد وشمول الدعوة .

وقصة المؤاخاة فى مكة : أخرجها الحاكم من طريق جميع بن عمير عن ابن عمر : (آخى رسول الله ﷺ بين أبى بكر وعمر ـ وبين طلحة والزبير ، وبين عبدالرحمن بن عوف وعثمان ـ وذكر جماعة . قال : فقال على : يا رسول الله انك آخيت بين اصحابك فمن أخى ؟ . قال ؟ . قال : أنا أخوك) انظر فتح البارى ح ٧ ص ٢٧١ .

(١) سورة الأنفال ، الآية ٧٥ .

أى أخى ، أنا أكثر أهل المدينة مالاً ، فانظر شطر مالى فخذه ، وتحتى امرأتان ، فانظر أيهما أعجب إليك حتى اطلقها .

فقال عبدالرحمن «بارك الله لك فى أهلك ومالك . دلونى على السوق ، فدلوه عليه فذهب فاشترى وباع وربح فجاء بشىء من اقط وسمن ، ثم لبث ما شاء الله أن يلبث فجاء وعليه ردع زعفران (أى لطخ منه) ، فقال رسول الله ﷺ «مهيم (ما شأنك ؟)

فقال يا رسول الله ، تزوجت امرأة . فقال : ما أصدقتها ؟ قال «وزن نواة من ذهب . قال : أولم ولو بشاة» .

قال عبدالرحمن : فلقد رأيتنى ولو رفعت حجراً لرجوت أن أصيب ذهباً أو فضة»[1]

وهذا مثل بسيط لما تفعله الأخوة الايمانية بين المؤمنين عند وقوع الحاجة ووجود المقتضى ، فيسارع أحدهم إلى مشاطرة أخيه عن طيب خاطر ، وتزويجه احدى امرأتيه .. إن الانسانية لم تجد ترابطاً له مثل هذه النتائج كما وجدته فى هذا التآخى بين المهاجرين والانصار ، وقد استمرت آثاره بارزة واضحة فى صلاتهم بعضهم ببعض ، وقبولهم لأى توجيه يتلقاه بعضهم من بعض بقبول حسن .

وإن قصة سلمان الفارسى مع أخيه بالعقيدة أبى الدرداء معروفة ومشهورة ، وقد صادق عليها رسول الله ﷺ ، وهذه القصة يرويها أبوجحيفة عن أبيه قال : آخى النبى ﷺ بين سلمان وابى الدرداء ،

---

(١) متفق عليه .

فزار سلمان أبا الدرداء ، فرأى أم الدرداء متبذلة فقال لها «ما شأنك ؟ قالت أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة فى الدنيا . فجاء أبوالدرداء فصنع له طعاماً . فقال له سلمان : كُلْ . فقال : إنى صائم . قال سلمان : ما أنا بآكل حتى تأكل . قال : فأكل . فلما كان الليل ذهب أبوالدرداء يقوم قال له سلمان : نم ، فنام . ثم ذهب يقوم ، فقال له : نم ، فلما كان من آخر الليل قال سلمان : قم الآن . فصليا ، فقال له سلمان :

إن لربك عليك حقاً ، ولنفسك عليك حقاً ، ولأهلك عليك حقا ، فاعط كل ذى حق حقه . فأتى أبوالدرداء النبى ﷺ فذكر له ذلك .

فقال النبى ﷺ : «صدق سلمان» .

وإن هذه المؤاخاة التى تمت بين أفراد الجيل الأول من المسلمين وفى مدينتهم الاسلامية الأولى التى تجمعوا فيها ، جمعت بين من كان أصله عبداً ، ومن كان أصله سيداً ، دون ذكرٍ أو اثارة لهذه الفوارق التى كانت بارزة جداً أيام الجاهلية .

فقد آخى عليه الصلاة والسلام بين زيد بن حارثة مولاه وبين حمزة بن عبدالمطلب القرشى عم رسول الله ، وزوجه زينب ابنة جحش القرشية ، قريبة رسول الله ، والتى أصبحت بعد أن طلقها زيد زوجة لرسول الله ﷺ .

وقد قال رسول الله ﷺ مرة لزيد بن حارثة :

«أنت أخونا ومولانا» .

والمراد بكلمة (أنت أخونا) إنه أخ فى الله . كما أن المراد بالمولى

هنا «المعتق لسبق اعتاق الرسول له» .

وقد قدَّم الرسول ﷺ كلمة (أخونا) على كلمة (مولانا) لما لمعنى الأخوة فى الايمان من أثر كبير . لأن الصلات الايمانية هى اقوى بكثير من هذه الرواسب القبلية التى جاء الاسلام فقضى عليها ، وجعل النسب الجامع بين المسلمين هذا الدين الحنيف . وانعم به من نسب وهذا ما أجاب به سلمان الفارسى من سأله عن نسبه بقوله «أنا ابن الاسلام»[1] .

وعندما سمع عمر بن الخطاب ما أجاب به سلمان من أنه ابن الاسلام ، بكى عمر وقال مردداً : نعم وأنا ابن الاسلام ، وأنا ابن الاسلام .

ويستحسن أن أعيد إلى الذاكرة أن المهاجرين الأولين سماهم القرآن بالفقراء المهاجرين ، لأنهم تخلوا عن ديارهم وأموالهم فى سبيل عقيدتهم ، فاستقبلهم اخوانهم الأنصار بقلوب مفتوحة واياد مبسوطة ، حتى قال عنهم رب العالمين :

﴿والذين تبوٌّوا الدار والايمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على انفسهم ولو

---

(١) عن قتادة وعن ابن زيد بن جدعان قال «كان بين سعد بن أبى وقاص وسلمان الفارسى شيء فقال سعد وهم فى مجلس» انتسب يا فلان فانتسب ، وقال للآخر انتسب .. ثم قال لآخر حتى بلغ سلمان ، فقال سلمان «ما اعرف لى ابا فى الاسلام ، ولكن سلمان ابن الإسلام . فقال عمر قد علمت قريش أن الخطاب كان أعزهم فى الجاهلية ، وأنا عمر ابن الاسلام أخو سلمان ابن الاسلام . (من منتخب كنز العمال على هامش مسند الامام أحمد بن حنبل جـ ٥ ص ١٩٥) .

كان بهم خصاصة ، ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون﴾ [1]

وإن هذه الأوصاف الكريمة التى وصف بها رب العالمين المسلمين الأولين من المهاجرين والأنصار جعلت لسان حال من يأتى بعدهم من المسلمين أن يتوجهوا إلى ربهم بهذا الدعاء :

﴿والذين جآءوا من بعدهم يقولون ربنا أغفر لنا ولاخواننا الذين سبقونا بالايمان ولا تجعل فى قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم﴾ [2]

وإن كلمة (لاخواننا) لم ترد بمفهوم اخوة الدم ، وانما تعنى اخوة العقيدة لارتباطها بقوله سبحانه **﴿الذين سبقونا بالايمان﴾** .

المبحث الثالث
المؤمنون إخوة ولو نشب بينهم قتال

إن التأكيد على أن المؤمنين إخوة يفيد استمرار الأخوة بينهم مهما نسب إليهم من نزاع أو قتال ، وأنه لا يفرق بينهم الا الردة على الاسلام[3] ، لأن من كان مؤمناً فهو مسلم قطعاً ، وقد لا يكون المسلم مؤمناً لقوله تبارك وتعالى عن الأعراب :

﴿قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما

---

(١) سورة الحشر الآية ٩ .

(٢) سورة الحشر . الآية ١٠ .

(٣) يراجع بحث الإيمان فى الفصل الثانى من هذا الباب .

يدخل الإيمان فى قلوبكم﴾[1]

وإن الآية الكريمة ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ وردت فى صدد توجيه الله تعالى للمؤمنين بما يجب عليهم أن يفعلوه فى حال نشوب قتال بين طائفتين منهم فقال تعالى :

﴿وإن طآئفتان من المؤمنين اقتتلوا فاصلحوا بينهما فان بغت احداهما على الأخرى فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء إلى أمر الله فإن فاءت فاصلحوا بينهما بالعدل واقسطوا إن الله يحب المقسطين . إنما المؤمنين إخوة فاصلحوا بين اخويكم واتقوا الله لعلكم ترحمون﴾[2] .

ومن هاتين الآيتين يتبين لنا أن الله سبحانه لم ينف عن المتقاتلين من المؤمنين صفة الايمان على الرغم من أن القتال يتولد عنه سفك دماء ، وأن الواحد من الفريقين حريص على قتل خصمه الآخر . غير أن هذا الاقتتال بين المؤمنين ليس له دافع الخروج عن العقيدة من احدى الطائفتين ، وإنما هو خلاف مبنى على تأويل أو على اجتهاد من احداهما ضد الأخرى .

ويتأكد من هذا المعنى أن الاقتتال بين المؤمنين لا يخرج المتقاتلين عن الصفة الايمانية وفقاً لما تقدم من وصف الله لهم فى حال الاقتتال الجماعى .

كما أن القتل الحاصل بين الأفراد من المؤمنين لا يزيل هذه الصفة

---

(١) سورة الحجرات . الآية ١٤ .
(٢) سورة الحجرات . الآية ١٠ .

عنهم أيضاً . لقوله تعالى فى سورة البقرة :

﴿يآأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص فى القتلى الحر بالحر والعبد بالعبد والانثى بالانثى فمن عفى له من أخيه شيء فاتباع بالمعروف واداء إليه باحسان ذلك تخفيف من ربكم ورحمة فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم﴾[1] .

وهذا المعنى يؤكد مدى ما لآصرة الأخوة الإيمانية من أثر بين أصحاب العقيدة الاسلامية . وأنه لا يفرق بينهم شيء إلاّ الردة عن الاسلام كما سبق وذكرت . لأن الدوافع التى تدفع بالمؤمنين افرادا وجماعات إلى الاقتتال ليست دوافع مبنية على العقيدة بالله ، أو ناتجة عن خروج بعض منهم عن الاسلام ... وإنما هى دوافع دنيوية لا مساس لها بالعقيدة اطلاقا .

ولهذا فإن باب المصالحة بين المتقاتلين يبقى مفتوحاً لوجود الرابطة الايمانية فيما بينهم . ويعود جميعهم إلى تآلفهم وتعاونهم وانطلاقهم فى نصرة الدين . كما حصل بعد المصالحة التى وقعت بين الحسن بن على ومعاوية بن أبى سفيان رضى الله عنهم اجمعين .

وهذه المصالحة قد تنبأ بها الرسول ﷺ إبان حياته فقال عن حفيده الحسن ابن على رضى الله عنهما :

«إن إبنى هذا سيد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين»[2] .

---

(١) سورة البقرة . الآية ١٧٨ .

(٢) وفى رواية لإمامين أبى داود والنسائى « إن ابنى هذا سيّد ولعل الله أن يصلح به بين فئتين من المسلمين عظيمتين » .

وإن الابقاء على الصلة الايمانية ـ على الرغم من نشوب القتال بين المؤمنين ـ هو توجيه للمؤمنين أن لا يفسد عليهم أى أمرٍ آخر مهما كان شأنه من الناحية المادية اخوتهم الايمانية هذه ، مادام أن القتل والقتال على شدة أثره واحزازاته فى الأنفس لم ينف عنهم هذه الصفة .

لذلك فان احتمال وقوع سوء التعامل أو حصول بعض المنازعات بين المؤمنين ، يجب أن لا يخرجهم من إيمانهم ، وأن يذكرهم هذا الايمان بالعودة إلى الصواب ، وإلى سلوك الطريق المستقيم ، ما وجدوا إلى ذلك سبيلا ، لأن هذا هو الأصل الذى يتمشى مع ما يفرضه عليهم إيمانهم من إيثار على النفس من بعضهم لبعض لأنهم أخوة فى دين الله ، ولأنهم أشداء على أعدائهم رحماء بينهم ... أذلة على المؤمنين ، أعزة على الكافرين .

الفصل الثانى
مدلـــول الإيمـــان

إن الآية الكريمة المتضمنة قوله تعالى ﴿**إنما المؤمنون إخوة**﴾ توجب علينا أن نتناول بالبحث كلمة (الايمان) ومدلولها وأركان الايمان ومستلزماته ، بعد أن تعرضنا لبحث الأخوة فى الاسلام ، لاحتواء هذه الآية على كلمة الايمان وكلمة الإخوة ..

الفرع الأول
تعـــريف الإيمـــان

إن تعريف الايمان يفرض على الباحث أن يتعرض إلى تعريف الاسلام ، لأن الاسلام الكامل يدخل فيه معنى الايمان ، وكذلك الايمان الصادق يتضمن حقيقة الاسلام ، ولهذا فإن تعريف الاسلام سيأتى ضمن بحث تعريف الإيمان .

الايمان : مصدر آمن يؤمن إيماناً فهو مؤمن .

والايمان : بمعنى التصديق ، وهو ضد الكفر .

وقد ورد فى التنزيل العزيز قوله تعالى ﴿**وما أنت بمؤمن لنا**﴾ أى بمصدق .

وقال الله تبارك وتعالى أيضاً : ﴿**قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ولما يدخل الايمان فى قلوبكم**﴾[1]

وعلى هذا يكون الاسلام غير الايمان .

والاسلام : اظهار الخضوع والقبول لما أتى به النبى ﷺ ، وبه يحقن الدم . فان كان مع ذلك الاظهار يوجد اعتقاد وتصديق بالقلب . فذلك الايمان الذى يقال للموصوف به أنه مؤمن مسلم . وهو المؤمن بالله ورسوله غير مرتاب ولا شك ، وهو الذى يرى أن آداء الفرائض واجب عليه ، وأن الجهاد بالنفس والمال واجب عليه أيضاً ، ولا يداخله فى ذلك ريب .. فهو المؤمن وهو المسلم حقاً ، توفيقاً مع قوله تعالى :

﴿ **إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا وجاهدوا بأموالهم وانفسهم فى سبيل الله اولئك هم الصادقون** ﴾[2] . أى اولئك الذين آمنوا حقيقة واتصفوا بما وصفهم به ربهم فهم الصادقون فى ايمانهم . اما من أظهر قبول الشريعة واسلم لدفع المكروه فهو فى الظاهر مسلم . أما باطنه فغير مصدق . فذلك الذى يقول بلسانه أسلمت ولما يدخل الإيمان فى قلبه ، لان الايمان لابد ان يكون صاحبه مصدقا .. ولهذا السبب أخرج رب العالمين اولئك الاعراب من الايمان فقال عنهم : ﴿ **ولما يدخل الايمان فى قلوبهم** ﴾ . أى لم تصدقوا وإنما اسلمتم تعوذا من القتل .

---

(١) سورة الحجرات . الآية ١٤ .

(٢) سورة الحجرات . الآية ١٥ .

فالمؤمن يبطن من التصديق مثل ما يظهر . والمسلم التام الاسلام مظهر للطاعة مؤمن بها ، أما المسلم الذى يظهر الاسلام نفاقاً فهو غير مؤمن فى الحقيقة ، الا أن حكمه فى الظاهر هو حكم المسلمين .

الفرع الثانى
أركان الإيمـــان

إن الإيمان يقوم على أركان لا بد من ذكرها فى هذه العجالة ، مادام البحث متعلقاً بمدلول قوله تعالى ﴿**إنما المؤمنون أخوة**﴾ ، وهذه الأركان يتضمنها ما ورد فى صفات المتقين .

١ ـ إن كلمة التقوى كلمة شاملة لجميع أنواع البر ، ولا يبلغ المسلم هذه الدرجة من التقوى الا إذا اتصف بهذه الصفات التى يعددها رب العالمين فى مفتتح سورة البقرة :

﴿**الّم . ذلك الكتاب لا ريب فيه هدىً للمتقين . الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما انزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون . اولّئك على هدىً من ربهم وأولّئك هم المفلحون**﴾ .[1]

ثم يؤكد رب العالمين بمفهوم أوسع من هم المتقون فيقول فى السورة ذاتها فى آية جامعة :

﴿**ليس البر أن تولوا وجوهكم قبل المشرق والمغرب . ولكن البر**

---

(١) سورة البقرة ـ الآيات ١ ـ ٣ .

من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسآئلين وفى الرقاب وأقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا واولئك هم المتقون﴾ .[1]

ويضيف سبحانه إلى ما سبق الاستشهاد به قوله فى آخر سورة البقرة :

﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملآئكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا واطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير﴾ .[2]

ويعدد الرسول ﷺ فى حديثه المشهور الذى رواه عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ أركان الاسلام والايمان ، وهى أركان متداخلة بعضها ببعض ، فيقول مجيباً من سأله عن الايمان والاسلام :

الايمان : أن تؤمن بالله وملائكته ورسله واليوم الآخر وبالقدر خيره وشره .

وفى رواية : أن تؤمن بالله وملائكته وبلقائه وتؤمن بالبعث .

والاسلام : أن تشهد أن لا إله إلاّ الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت .

---

(١) سورة البقرة ، الآية ١٧٧ .

(٢) سورة البقرة ، الآية ٠٠ .

وفى رواية : أن تعبد الله ولا تشرك به وتقيم الصلاة ... إلى آخر الحديث ..

٢ ــ إن هذه الأمور بمجموعها يمكن تلخيصها بما يلى :

١ ــ الايمان بالله ، ويتضمن الايمان بالغيب وباليوم الآخر وبالبعث وبالقدر خيره وشره .

٢ ــ الإيمان بملائكته .

٣ ــ الايمان بكتبه .

٤ ــ الايمان بأنبيائه ورسله ، دون تفريق بين أحد منهم .

وإن هذا الايمان لا يكفى وحده لكى يكون الانسان مسلماً مؤمناً ، إذ لا بد له من الأخذ عملياً بمستلزمات الايمان ، وقد عددها رب العالمين فى الآية (١٧٧) من سورة البقرة التى سبق واستشهدت بها ، كما انه سبحانه ذكر بعضاً منها فى سورة المؤمنون ، وإننى ساستعرض فيما يلى هذه المستلزمات التى لا بد من توافرها فيمن يكون إيمانه صادقاً بالله .

الفرع الثالث
مستلزمات الإيمان

إن الايمان ، كما سبق وعرفته ، تصديق بالقلب وعمل بالجوارح ، وإنه لا بد له من مستلزماته التى فرضها رب العالمين على عباده .

وهذه المستلزمات هى :

١ ـ أقام الصلاة .

٢ ـ إيتاء الزكاة .

٣ ـ إيتاء المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب .

٤ ـ والوفاء بالعهد .

٥ ـ والصبر فى البأساء والضراء وحين البأس .

٦ ـ والسمع والطاعة وطلب المغفرة من الله الذى إليه المصير .

فاذا ما تخلق بها المسلمون فهم الذين صدقوا (أى آمنوا) وهم المتقون .

وهذه الأوامر إذا ما التزم بها المسلمون وحققوها فى أنفسهم آتت أكلها باذن ربهم ، وتحقق قول الله فيهم ﴿**كنتم خير أمة أخرجت للناس**﴾ .

وقد جعل رب العالمين من هذه الأوامر صفات لاصقة بالمؤمنين الذين صدقوا ، وبشرهم بالفلاح ما تخلقوا بها ، فقال عز من قائل فى سورة المؤمنون :

﴿**قد أفلح المؤمنون . الذين هم فى صلاتهم خاشعون . والذين هم عن اللغو معرضون . والذين هم للزكاة فاعلون . والذين هم لفروجهم حافظون . إلاّ على أزواجهم أو ما ملكت ايمانهم فانهم غير ملومين . فمن ابتغى وراء ذلك فاولّئك هم العادون . والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون . والذين هم على صلواتهم يحافظون .**

أولئك هم الوارثون الذين يرثون الفردوس هم فيها خالدون﴾[1]

ويضيف سبحانه وتعالى فى السورة ذاتها بعض الصفات التى يتحلى بها المؤمنون فيقول :

﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون . والذين هم بآيات ربهم يؤمنون . والذين هم بربهم لا يشركون . والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون . أولئك يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون﴾[1] .

وقد ورد فى سورة الشورى ما يتمم هذه الصفات الكريمة التى يتخلق بها المؤمنون فيقول سبحانه :

﴿فما أوتيتم من شيء فمتاع الحياة الدنيا وما عند الله خير وابقى للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون . والذين يجتنبون كبآئر الاثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون . والذين استجابوا لربهم واقاموا الصلاة وأمرهم شورى بينهم ومما رزقناهم ينفقون . والذين إذا اصابهم البغى هم ينتصرون﴾[3]

هذه هى أبرز الصفات التى يتصف بها المؤمنون ، وهى صفات تحقق لهم إذا ما تخلقوا بها وحققوها فى أنفسهم الفلاح المؤكد ، وعداً من ربهم ، ومن أصدق من الله قيلا .

وهى أمور جامعة يدخل فى شمولها أمور كثيرة هى من متممات الإيمان ، كما ورد عن الرسول ﷺ فى قوله :

---

(١) سورة المؤمنون . الآيات ١ ـ ١١ .

(٢) سورة المؤمنون . الآيات ٥٧ ـ ٦٠ .

(٣) سورة الشورى . الآيات ٣٦ ـ ٣٩ .

« الإيمان بضع وسبعون شعبة أعلاها قول لا إله إلاّ الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[1]

الفرع الرابع
اقتران الايمان بالعمل الصالح

إن لفظ الايمان ومعناه يقترن فى كثير من آيات القرآن الكريم بالصلاح والاصلاح ، وذلك فى مثل قوله تعالى :

﴿فمن آمن واصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾[2]

كما أنه ليس هناك أفضل ممن يؤمن بالله ويستقيم على طريقته ويدعو إلى الله ويعمل صالحاً .. ومصداق ذلك فى قوله تعالى :

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملآئكة الا تخافوا ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون . نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ولكم فيها ما تشتهى انفسكم ولكم فيها ما تدعون . نزلاً من غفور رحيم . ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين . ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم . وما يلقاها إلاّ الذين صبروا وما يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم﴾[3]

---

(١) متفق عليه .

(٢) سورة الأنعام ، الآية ٤٨ .

(٣) سورة فصّلت ، الآيات ٣٠ ـ ٣٥ .

وأن هذا التوجيه الكريم يشمل الذكر والانثى لقوله تعالى :

﴿من عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حياة طيبة ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون﴾[1]

كما أن المؤمنين والمؤمنات سواء من حيث التكافل والتناصر والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر واداء فرائض الله ، لقوله تعالى :

﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله اولئك سيرحمهم الله إن الله عزيز حكيم﴾[2]

وان الايمان هو أمانة . وإنه (لا إيمان لمن لا أمانة له) . كما قال عليه الصلاة والسلام .[3] وان من صفة المؤمن بالله أن يكون راجياً لثوابه وخاشياً من عقابه .

وفى حديث أنس ــ رضى الله عنه ــ أن النبى ﷺ قال :

«المؤمن من أمنه الناس ، والمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، والذى نفسى بيده لا يدخل رجل الجنة لا يأمن جاره بوائقه» .[4]

---

(١) سورة النحل . الآية ٩٧ .

(٢) سورة التوبة . الآية ٧١ .

(٣) رواه الإمام أحمد .

(٤) وردت أحاديث عديدة فى حسن رعاية الجار . منها ما رواه الأمام البخارى فى صحيحه :

عن عائشة رضى الله عنها عن النبى ﷺ أنه قال :

ــ «مازال جبريل يوصينى بالجار حتى ظننت أنه سيورثه»

وعن أبى شريح أن النبى ﷺ قال :

ــ «والله لا يؤمن والله لا يؤمن . قيل : ومن يارسول الله ؟ قال «الذى =

وان هذه الأوصاف التي سبق واستشهد بها يضاف إليها انهم اخوة في الله تآخوا عليها ، وانهم من حيث كونهم إخوة بالايمان فعليهم أن يلتزموا بهذه الصفات ، ويحققوها بانفسهم ويأخذوا بها متحدين متماسكين متعاونين ، لأن هذا هو شأن الاخوة عندما يكونون جميعاً ، كما افصح عن هذا المعنى وضرب به مثلاً لأولاده ، أب عربي جمع أولاده قبيل موته وقال لهم ناصحاً :

كونوا جميعاً يا بنيّ اذا اعترى ... خطب ولا تتفرقوا آحادا
تأبى العصيّ إذا اجتمعن تكسّرا ... واذا افترقن تكسرت أفرادا

= لا يأمن جاره بوائقه» .

وعن أبي هريرة قال : «قال رسول الله ﷺ»

ـ «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فلا يؤذ جاره . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه . ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خيرا أو ليصمت .

وعن عائشة قال : «قلت يا رسول الله إن لي جارين فإلى أيهما أهدى ؟ قال «إلى أقربهما منك بابا» .

الباب الثانى
غايات ومقاصد الاخوة فى الاسلام

الفصل الأول : مقاصد الاخوة فى الاسلام

المقصد الأول : الحب فى الله والبغض فى الله

المقصد الثانى : الإيثار

المقصد الثالث : التعاون

المقصد الرابع : التراحم

المقصد الخامس : التناصح

المقصد السادس : التناصر

المقصد السابع : التكافل

الفصل الثانى : بعض آثار هذه المقاصد

أولا : وحدة السلوك

الفرع الأول : المؤمن مرآة أخيه

الفرع الثانى : العبادات

الفرع الثالث : السلام

الفرع الرابع : الاستئذان

الفرع الخامس : التيامن

ثانياً : تطهير النفس

الفرع الأول : تجنب الغضب

الفرع الثانى : نبذ الحقد والحسد

الفرع الثالث : القناعة

ثالثاً : حسن التعامل

الفرع الأول : فى الخطاب والكلام

الفرع الثانى : صدق المعاملة

الفرع الثالث : تقوية روابط المجتمع

الباب الثانى

غايات ومقاصد الأخوّة فى الإسلام

أولا : مقاصد الأخوّة فى الإسلام

إن المراد من كلمة (المقاصد) هو ما يحرص المرء على الوصول اليه وتحقيقه ، أو ما يريده بقلبه وفعله ، ويقصد إليه حقيقة . أى أنه مطلوبه وغاية مراده .

والقصد هو اتيان الشئ (الغاية والهدف) .

والفعل لا يكون عبادة إلا بالنية والقصد ، لقوله ﷺ :

« **إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئٍ ما نوى** » .

ومن هذا الحديث خرّج الفقهاء القاعدة الكلية « الامور بمقاصدها » .

أى أن اعمال الشخص وتصرفاته من قولية أو فعلية تختلف نتائجها واحكامها الشرعية التى تترتب عليها باختلاف مقصود الشخص من تلك الاعمال والتصرفات [1] .

وكذلك خرّجوا القاعدة الكلية التالية :

« العبرة فى العقود للمقاصد والمعانى لا للألفاظ والمبانى »

---

(١) من كتاب (المدخل الفقهى العام) للأستاذ مصطفى أحمد الزرقا ج ٢ ص ٩٥١ .

أى أن الاعتبار فى العقود بنيات اصحابها ومقاصدهم وإن خالفت ظواهر الفاظهم[1] .

ومقاصد الاخوة هى الاغراض التى نتوخاها من هذه الاخوّة ، وتدخل ضمن الآثار التى تترتب عليها .

ثانياً : الوسـائل

إن هذه المقاصد لا تتحقق تلقائيا ، وإنما لابد لها من وسائل ، فكانت هذه الوسائل تابعة لها ومعتبرة بها .

فالوسائل التى تؤدى إلى الحرام ، حرام استعمالها أو سلوكها ، لأنها أخذت حكم ما تؤدى اليه . وقد قيل :

ما يؤدى الى الحرام فهو حرام .

والوسائل التى تؤدى إلى الطاعات والقربات فهى حلال ، لانها تأخذ حكم الغايات أو المقاصد التى تؤدى اليها ، وقد قيل :

ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب .

ومن هنا كان لابد لمقاصد الأخوّة فى الاسلام من أن تستند إلى وسائل تحقق الوصول إليها .

---

(١) من كتاب (إعلام الموقعين) للإمام ابن قيم الجوزية ج ٣ ص ١٣٩ .

الفصل الأول
مقاصد الأخوّة فى الإسلام

المقصد الأول
الحب فى الله والبغض فى الله

إن أول مقصد من مقاصد الأخوّة فى الاسلام ، الحب فى الله والبغض فى الله .

لأن أخوّة الايمان بالله لا يمكن أن تتحقق بصدق وأن تؤتى ثمارها إن لم يكن المؤمنون بالله متحابين فيه ، يحبون ما يحب ، ويلتزمون بما يأمر ، ويحرصون على التخلق به ، ويبغضون اعداء الله ـ من يكفر بالله ويخرج عن طاعته ـ ، كما يبغضون معاصيه وما نهى عنه .

وقد أفصح الله سبحانه عما يحبه وعما يبغضه فى عديد من الآيات القرآنية ، فهو سبحانه : يحب المحسنين ، ويحب التوابين ، ويحب المتطهرين ، ويحب المتقين ، ويحب الصابرين ، ويحب المتوكلين ، ويحب المقسطين ، ويحب الذين يقاتلون فى سبيله صفا كأنهم بنيان مرصوص .

وهذه جماع الصفات التى يحبها الله ويحب أن تكون فى اوليائه

الذين يحبهم ويحبونه . ورضى عنهم ورضوا عنه .

والله سبحانه وتعالى يبغض نقيضها ، فهو لا يحب المعتدين ، ولا يحب الكافرين . ولا يحب الظالمين ، ولا الخائنين ولا المتكبرين . والله لا يحب الجهر بالسوء إلا من ظَلِمْ .

وهذه جماع الصفات التى لا يحبها الله ويحذر عباده منها .

وعندما يتحقق فى المؤمنين صدق المحبة فى الله ، يحبون ما يحبه ، ويتجنبون ما يبغضه وما ينهى عنه ، فإن الفلاح والتمكين فى الارض هو من نصيبهم . والسعادة والرخاء والسلامة من نصيب رعاياهم والانسانية قاطبة .

وإن الحب فى الله والبغض فى الله يدخلان فى شمول أمر الله باتباع رسوله ، لأن الله سبحانه وتعالى يقول :

﴿قل إن كنتم تحبون الله فاتبعونى يحببكم الله ويغفر لكم ذنوبكم والله غفور رحيم﴾ [1] .

وإن هذه المحبة هى منطلق كل خير وفلاح لأنها تجمع المؤمنين على صراط واحد وهَدْىِ واحد ، فهم فى ذلك لا يعملون وفق هواهم ، وإنما يحَكِّمون الشرع فى جميع تصرفاتهم وأقوالهم .

وإذا قوى الحب فى الله وكان خالصا صادقا ، حمل المتحابين فيه على الموالاة والنصرة بالنفس والمال واللسان .

وإن حب الله للعبد قوة لا حدود لها .. وسبيل هذه المحبة ان يؤدى العبد ما افترضه الله عليه ، وأن يزداد تقربا اليه بالنوافل ..

---

(١) سورة آل عمران . الآية ٣١ .

مصداقا لما بشّر به الرسول ﷺ فى حديثه الذى رواه البخارى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، إن الله ــ تبارك وتعالى ــ قال :

« **من عادى لى وليا فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب الىّ عبدى بشئ أحب إلىّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل حتى أحبّه ، فإذا احببته ، كنت سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، ولئن سألنى لأعْطِيَنّه ، ولئن استعاذنى لأعيذنّه ، وما ترددت عن شئ أنا فاعله ترددى عن نفس المؤمن ، يكره الموت وانا اكره مساءته** » .

كما إن الحب فى الله والبغض فى الله يؤلف بين قلوب المتحابين فيشكل منهم قوة وجبهة متماسكة متراصة ، يشد بعضهم ازر بعض ، وهو دليل الاستقامة والتوافق فى السلوك ، وهو الذى جمع بين قلوب المهاجرين والأنصار ، فكان سببا فى هذا التآلف العظيم الذى أشار إليه رب العالمين فى محكم كتابه وأنهم اصبحوا بنعمته إخوانا ، فأثمر فيهم ، فكان الفتح العظيم وكان انتشار الاسلام ودخول الناس فى دين الله أفواجا .

يقول الله تبارك وتعالى :

﴿**يآ أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته**

لعلكم تهتدون﴾[1] .

وإن أثر البغض فى الله نجده واضحا فى تصرفات عدد من كرام الصحابة يوم بدر ، يوم التقى الجمعان ، فلم تمنع أحدهم روابط الدم أو القربى ، أن يقتل أباه أو ابنه أو أخاه أو بعض أقاربه ، بعدما تبين لهم أنهم اعداء الله ، فكان ذلك سببا فى نزول هذه الآية الكريمة :

﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم أولئك كتب الله فى قلوبهم الإيمان وأيّدهم بروح منه ويدخلهم جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها رضى الله عنهم ورضوا عنه أولئك حزب الله ألا إنّ حزب الله هم المفلحون﴾[2]

فقتل أبو عبيدة بن الجراح أباه ، وهمّ الصديق بقتل ولده عبدالرحمن لو تمكّن منه ، وقتل مصعب بن عمير أخاه عبيد بن عمير ، وقتل عمر بن الخطاب وحمزة وعليّ وعبيدة بن الحارث بعض أقاربهم ، وقد كان تصرفهم هذا بدافع الحب فى الله والبغض فى الله ، أى بدافع إيمانهم الصادق به .

هذا هو الإيمان الثابت الراسخ الذى كتبه الله فى قلوبهم ، فلا تردد ولا مداهنة فيه ، ولا وشائج قربى تحول دون إعلاء كلمة الله ومحاربة من حادّ الله ورسوله ، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ١٠٣ .
(٢) سورة المجادلة ، الآية ٢٢ .

إخوانهم أو عشيرتهم[1] .

وإن من ثمرة هذا الإيمان أن الله أيدهم بروح منه ، وضمن لهم الجنة يخلدون فيها ، هؤلاء الذين رضى الله عنهم ورضوا عنه ، أى أحبهم وأحبوه ، لأن الرضا لا يتولد إلا عن محبة صادقة مخلصة ، هؤلاء هم حزب الله ﴿ **ألا إنّ حزب الله هم المفلحون** ﴾ .

إنها محبة الله وطلب مرضاته ، هى التى أوصلتهم إلى هذه العاقبة الحميدة ، وإنهم هم ، لا غيرهم حزب الله .. وإن من تنكّب طريقهم فليس منهم مهما كانت قرابته أو مكانته .

ولنقرأ قول الله تعالى فى آية أخرى ، تشير أو تؤكد أن القرابة على شدة أثرها ، وأن المال والتجارة والمساكن على مالَها من تسلط على الأنفس ، لا تعدل مطلقا ـ فى حالة تعارضها ـ حبّ الله وحب رسوله وجهاد فى سبيل الله ، ولا تقاس به أبدا :

﴿ **قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم**

---

(١) أتى عبد الله بن عبد الله بن أبىّ بن سلول رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله إنه بلغنى أنك تريد قتل (ابى) عبد الله بن أبىّ فيما بلغك عنه . فإن كنت فاعلا فمر لى به . فأنا أحمل إليك رأسه . فوالله لقد علمت الخزرج ما كان بها من رجل أبرّ بوالديه منى . وإنى أخشى أن تأمر به غيرى فيقتله فلا تدعنى نفسى أن انظر إلى قاتل (ابى) عبد الله بن أبى يمشى فى الناس فأقتله . فأقتل مؤمنا بكافر فأدخل النار . فقال ﷺ : بل نترفق به ونحسن صحبته ما بقى معنا . (البداية والنهاية جـ ٤ ص ١٥٨) .

وأسِرَ يوم بدر أبو عزيز بن عمير . وهو أخ شقيق لمصعب بن عمير . أسره محرز بن فضلة . فقال مصعب لمحرز : أشدد يديك به . فإن له أما بمكة كثيرة المال . فقال ابو عزيز : هذه وصاتك بى يا أخى ؟ فقال مصعب : إن محرزا أخى دونك . فبعثت أمه عنه بأربعة آلاف درهم وهو أغلى ما فدِىَ به أسير قرشى . (البداية والنهاية جـ ٣ ص ٣٠٧) .

وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾[1] .

وإن من ثمرة المحبة فى الله أن الله سبحانه وتعالى يقول يوم القيامة :

« **أين المتحابين بجلالى ، اليوم أظلهم فى ظلّى يوم لا ظلّ إلا ظلى** » .. وهم على منابر من نور فى ظل العرش يغبطهم النبيون والشهداء[2] .

وأن الحب فى الله هو من ثمرة الإيمان وحلاوته ، لقوله ﷺ :

« **ثلاث من كنّ فيه وجد حلاوة الايمان :**

أن يكون الله ورسوله أحب اليه من سواهم .

وأن يحب المرءَ لا يحبه إلا لله .

وأن يكره أن يعود فى الكفر بعد أن انقذه الله عنه ، كما يكره أن يقذف فى النار »[3] .

وأن من احب فى الله وابغض فى الله فقد استكمل الايمان .

وان من موجبات زيادة أواصر المحبة فى الله وتنميتها ، أنه إذا أحبّ أحد أخاه فى الله أن يعلمه أنه يحبه .

عن أنس ـ رضى الله عنه ـ أن رجلا كان عند النبى ﷺ فمرّ به رجل ، فقال يا رسول إنى لأحب هذا .

---

(١) سورة التوبة ، الآية ٢٤ .

(٢) رواه الإمام أحمد .

(٣) رواه الإمام البخارى .

فقال له ﷺ : أأعلمته ؟ قال : لا . قال : أعلمه . فلحقه فقال : إنى أحبك فى الله . فقال : أحبك الذى أحببتنى له[1] .

وعن أنس أيضا أن رجلا سأل النبى ﷺ عن الساعة ، فقال : متى الساعة ؟ قال : وماذا أعددت لها ؟ قال : لا شئ إلا أنّى أحب الله ورسوله . فقال : أنت مع من أحببت .

فما فرحنا بشئ فرحنا بقول النبى ﷺ **أنت مع من أحببت**[2] .

وعن عبدالله بن مسعود ـ رضى الله عنه ـ قال : جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف تقول فى رجل أحبّ قوما ولم يلحق بهم ؟

فقال رسول الله ﷺ : **المرء مع من أحب**[3] .

وفى هذا القول ترغيب وتحذير ، ترغيب فى أن يجعل الانسان محبته فى قوم يسعده حالهم ومآلهم ، كما أن فيه تحذير من أن تكون محبة المرء لقوم سوء أو لقوم غير مؤمنين فيحشر معهم ، لقوله ﷺ :

« **ولا يحب رجل قوما إلا حشر معهم** »[4] .

وان المحبة لا تنشأ دون ان يكون هناك ما يدفع إليها ويشجع عليها ، وقد ارشدنا إلى بعض دوافعها الرسول ﷺ فقال مقسما :

« **والذى نفسى بيده ، لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولا**

---

(١) رواه الإمام أبو داود .

(٢) رواه الإمام البخارى .

(٣) رواه الإمام البخارى .

(٤) رواه الإمام أحمد .

تؤمنوا حتى تحابوا ، ثم قال : **هل أدلكم على شئ إذا فعلتموه تحاببتم ؟ افشوا السلام بينكم** »[1] .

ومن توجيهاته ﷺ قوله فى إفشاء السلام :

« **إذا لقى أحدكم أخاه فليسلّم ، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ، ثم لقيه فليسلم عليه ايضا** » . وقوله :

« **يا بنى إذا دخلت على أهلك فسلّم ، يكن سلامك بركة عليك وعلى أهل بيتك** »

ومرّ على صبيان فسلم عليهم .

وعن اسماء بنت يزيد قالت : « مرّ علينا النبى ﷺ نسوة فسلّم علينا »[2] .

وأن مرتكز المحبة الصادقة هو الإيمان بالله سبحانه ، وأن الحب فى الله يدفع بالمؤمنين إلى حسن التعايش فيما بينهم ، فلا حسد ، لأن الإيثار هو من صفاتهم العليا ، ولا تنافس إلا فى الاعمال الصالحة ، ولا تباغض ولا تشاحن ، وإنما هو تكافل وتعاون وتناصح وإخلاص ومحبة .

وبهذه الصفات وهذه الاخلاق كانوا خير أمة أخرجت للناس ، وكان مجتمعهم هذا ، هو الغرسة التى أثمرت وآتت اكلها بإذن ربها ، وأنهم أصبحوا منارات هدى لمن جاء بعدهم ، فهم الأمثلة الصادقة عما يجب أن يكون عليه المسلم فى حياته الشخصية وفى

---

(١) رواه الإمام أحمد .

(٤) رواها الإمامان الترمذى وأبو داود .

صلاته وعلاقاته مع الآخرين ، هذه العلاقات المبنية على المحبة الصادقة التى غرسها الايمان فى قلوبهم ، والتى لولاها لما تمكنوا من حمل عبئ هذه الرسالة وأدائها إلى الناس على خير وجه وأصدقه .

ومن هذا المنطلق الذى دعا اليه الاسلام وبنى عليه الصلات بين المسلمين لتمتين أواصر أخواتهم الايمانية فى الله برزت مقاصد هذه الاخوة ، فكان أولاها وأقواها سببا وأبقاها أثرا : الحب فى الله والبغض فى الله .

المقصد الثانى
الإيثـــار

آثره على نفسه ، أى فضّله عليها[1] وهذا من باب الفضل لا العدل ، لأن فى العدل تتحقق التسوية بين الطرفين .

والايثار لا يكون إلا عن نفس رضية ، تحب لغيرها أكثر مما تحبه لذاتها ، وهذا أعلى مراتب التعاون ، لأن التعاون يكون بتبادل العون من واحد لآخر ، أما الايثار فإنه مرتبة تعلو عليه ، لحرمان الإنسان ما أعده لنفسه أو لذويه ، وتقديمه لغيره ابتغاء مرضاة الله سبحانه دون انتظار مكافأة على عمله .

ويذكر رب العالمين ـ فى سورة الدهر ـ الأبرار وما اعدّ لهم من

(١) آثر يوثر إيثاراً » إذا أعطى أو فضّل على نفسه . ومنه قوله تعالى : ﴿ **تالله لقد آثرك الله علينا وان كنا لخاطئين** ﴾ سورة يوسف الآية ٩١ . أى تالله لقد فضلك الله وخصك بالفضل دوننا .

نعيم مقيم ، والكفار وما أعدّ لهم من عذاب أليم ، ويعدد صفات المؤمنين ، وما كانوا عليه فى الحياة الدنيا ، ومن هذه الصفات أنهم يطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ، وأنهم لا يريدون عليه جزاء ولا شكورا ، وإنما يفعلون ذلك ابتغاء وجه الله .

وكلمة ـ على حبه ـ تفيد أنهم فى حاجة إلى هذا الطعام ولكنهم يؤثرون على أنفسهم إخوانهم المساكين الذين هم فى حاجة أكيدة إليه ، خلافا لغيرهم الذين ينفقون أموالهم تفاخرا وتزلفا .. على الأغنياء وأصحاب النفوذ ليظهروا بمظهر الكرم والتحبب لاصحاب السلطة والمكانة[1] .

وان قصص الإيثار فى الاسلام كثيرة جدا ، ومن أبرزها ما سجله رب العالمين فى محكم كتابه عن الانصار الذين آثروا إخوانهم المهاجرين على أنفسهم بقوله جلّ وعلا :

﴿ والذين تبؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون فى صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون ﴾[2] .

وتبتدئ هذه الآية بوصف الأنصار بأنهم سكنوا دار الهجرة قبل

---

(١) يروى عن ابن عمر رضى الله عنهما أنه نزل الجحفة وهو شاك (مريض) فقال : إنى لاشتهى حيتانا (سمكا) فالتمسوا له فلم يجدوا إلا حوتا واحدا فأخذته امرأته صفية بنت أبى عبيد فصنعته له ثم قربته إليه . فأتى مسكين حتى وقف عليه . فقال ابن عمر : خذه . فقال أهله : سبحان الله . قد عنيتنا ومعنا زاد نعطيه . فقال إن عبد الله يحبه . (حياة الصحابة ج ٢ ص ١٤٤ .

(٢) سورة الحشر . الآية ٩ .

المهاجرين وآمنوا قبل كثير منهم وأنهم يحبون من هاجر إليهم ..

وهذا الحب لا لصنيعة سبقت من المهاجرين اليهم ، أو لِيدٍ كانت لهم عليهم ، وإنما هو الايمان بالله الذى وحّد بين قلوبهم ، وهو الحب فى الله الذى جمع بينهم ، ففتحوا قلوبهم لإخوانهم فى الدين ، قبل أن يفتحوا لهم منازلهم ، وق, كان لهذا التصرف من الأنصار أن قال المهاجرون لرسول الله ﷺ ، كما رواه الإمام أحمد فى مسنده عن أنس رضى الله عنه :

« يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قَدِمنا عليهم أحسن مواساة فى قليل ولا أحسن بذلا فى كثير ، لقد كفونا المؤونة وأشركونا فى المهنأ ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله .

قال : لا ، ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم » .

ويروى ان رسول الله ﷺ قال للانصار :

« **إن إخوانكم قد تركوا الأموال والأولاد وخرجوا إليكم** .

فقال الأنصار : أموالنا بيننا قطائع ، أى نقاسمهم بها . فقال رسول الله ﷺ : **أو غير ذلك** ؟ قالوا : وما ذاك يا رسول الله ؟

قال : **هم قوم لا يعرفون العمل فتكفونهم وتقاسمونهم الثمر** .

فقالوا : نعم يا رسول الله »[1] .

ومن هذا المقام بذل الصديق رضى الله عنه جميع ماله فى سبيل الله ، فقال له رسول الله ﷺ « ما أبقيت لأهلك ؟ فقال : أبقيت لهم الله ورسوله » .

---

(١) من كتاب (مختصر تفسير ابن كثير) ج ٣ ص ٤٧٤ .

فهو رضى الله عنه ، آثر بتصرفه هذا رضاء الله سبحانه على حاجة أهله ، ليقينه من ان الله كافيهم ومعطيهم من فضله .

وعن اسماء بنت أبى بكر رضى الله عنهما قالت :

لما خرج رسول الله ﷺ وخرج أبوبكر رضى الله عنه معه ، احتمل أبوبكر ماله كله معه . خمسة آلاف أو ستة آلاف درهم . فانطلق بها معه . قالت : فدخل علينا جدى أبوقحافة رضى الله عنه وقد ذهب بصره ، فقال : والله انى لأراه قد فجعكم بماله ونفسه . قالت : قلت كلا يا أبت إنه ترك خيرا كثيرا . قالت : وأخذت أحجارا فوضعتها فى كوّة البيت الذى كان أبى يضع فيها ماله ، ثم وضعت عليها ثوبا ، ثم أخذت بيده فقلت : يا أبت ضع يدك على هذا المال . قالت : فوضع يده عليه . فقال : لا بأس إن كان قد ترك لكم هذا فقد أحسن . وفى هذا بلاغ لكم . قالت : لا والله ما ترك لنا شيئا ، ولكنى أردت أن أسكِّن الشيخ بذلك[1] .

وهكذا الماء الذى عُرِضَ على عكرمة واصحابه يوم اليرموك ، فكل منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء ، فردّه الآخر إلى الثالث ، فما وصل إلى الثالث حتى ماتوا عن آخرهم ولم يشربه أحد منهم ، رضى الله عنهم وأرضاهم[1] .

وعن حذيفة العدوى قال : انطلقت يوما إلى اليرموك أطلب ابن عمّ لى ، ومعى شئ من ماء ، وأنا اقول : إنه إن كان به رمق سقيته ، ومسحت به وجهه ، فإذا أنا بهـ فقلت : اسقيك ؟

---

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) من كتاب مختصر تفسير ابن كثير جـ ٣ ص ٤٧٤ .

فأشار إليّ أن نعم . فإذا رجل يقول : آه ، فأشار ابن عمى أن انطلق بالماء اليه . قال : فجئته فإذا هو هشام بن العاص ، فقلت : أسقيك ؟ فسمع به آخر فقال آه ، فأشار هشام أن انطلق به إليه ، فجئته فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى هشام فإذا هو قد مات ، فرجعت إلى ابن عمى فإذا هو قد مات . رحمة الله عليهم اجمعين[1] .

وأخرج البخارى عن أبى هريرة انه قال :

أتى رجل رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله أصابنى الجهد ، فأرسل إلى نسائه[2] فلم يجد عندهنّ شيئا ، فقال النبى ﷺ :

ألا رجل يضيف هذا الليلة رحمه الله ؟

فقام رجل من الأنصار فقال : أنا يا رسول الله . فذهب إلى أهله فقال لامرأته : هذا ضيف رسول الله ﷺ لا تدّخريه شيئا . فقالت : والله ما عندى إلا قوت الصبية . قال : فإذا أراد الصبية العشاء فَنَوِّمِهِمْ وتعالى فأطفئ السراج ونطوى بطوننا الليلة . ففعلت . ثم غدا الرجل على رسول الله ﷺ ، فقال :

لقد عجب عزّ وجل ـ أو ضحك ـ من فلان وفلانة ، وأنزل الله تعالى : ﴿ **ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة** ﴾ .

وفى رواية للإمام مسلم « تسمية هذا الأنصارى بأبى طلحة ، رضى الله عنه » .

---

(١) من كتاب المعاملات) تأليف على فكرى ج ٣ ص ١٨٨ .
(٢) أى إلى نسائه ﷺ .

المقصد الثالث

التعـــاون

ان التعاون بين المسلمين من ثمرة الحب فى الله ، وهو من الأمور المسلّمة التى لا يشك فى وجوبها احد ، لورود الأمر به من الله تعالى فى قوله :

﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ (١)

وإن خلق المحبة فى الفرد المسلم لأخيه المسلم يدفع به إلى المساعة فى مد يد العون إليه ابتغاء مرضاة الله . لأنه حريص على أن يكون الله فى عونه ، وأن لا يتخلى عنه لحظة من اللحظات ، لقوله ﷺ :

« **الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون اخيه** » (٢)

ولقوله أيضا :

« **من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته** » (٣)

وإن « **من الإيمان أن يحب المرء لأخيه ما يحبه لنفسه** » (٤)

كما أن دعوة المرء المسلم تستجاب كلما دعا لأخيه بخير(٥)

---

(١) سورة المائدة . الآية ٢ .

(٢) رواه الإمامان الترمذى وأبو داود .

(٣) رواه الإمام أحمد والترمذى وأبو داود .

(٤) رواه الإمام البخارى .

(٥) عن أبى الدرداء قال : «قال رسول الله ﷺ ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلا قال الملك ولك بمثل» رواه الإمام مسلم والإمام أحمد .

وهذا التعاون يشمل أمور الحياة جميعها ، وينمو ويثمر فى حقول البرّ والتقوى ، وما أكثرها وأخصبها .. لأن البرّ جماع الخير ، ولأن التقوى حاجزة للمرء المسلم عن كل شر.

ومن هذين المنطلقين نجد أن باب التعاون مفتوح يلجه كل مؤمن بالله ورسوله ، ولا يصده عنه عجزه المادى عن فعل الخير ، لأن الإمساك عن الشر صدقة ، وتبسّمك فى وجه أخيك صدقة ، وإماطة الاذى عن الطريق صدقة .. وذَبُّكَ عن عِرْضِ أخيك صدقة .. إلى آخر ما هنالك من الأعمال التى تكسب الانسان المسلم فضائل وحسنات يرفعنه عن الدنايا ، ويحلن بينه وبين الوقوع فى الآثام ، لأن باب الشر أحكمت اغلاقه التقوى .. ولذلك نجد كثيرا من الآيات القرآنية تمتدح المتقين ، وتحضّ على الأخذ والتخلق بخلق التقوى .

فالتعاون على البر ـ الذى هو جماع الخير ـ كما ذكرنا ، يفتح الآفاق واسعة أمام المؤمن ، فلا يترك مناسبة خير إلا وسارع فى انتهازها ، فهو عوان ومعوان على الخير حيث كان .

وكذلك التقوى فإنها تمنعه من أن يرتكب ما يكسبه غضب الله وغضب رسوله .. وبذلك يكون المؤمن وقّافا عند حدود الله فلا يتعدّاها ، وينطلق فى مجالات التعاون على البرّ وما يتفرع عنه دون أن تحدّه حدود ايضا .

ومن هذين المنطلقين ـ منطلق التعاون على البر والتقوى ـ نكوّن المجتمع المسلم الذى أعدّه الله وأخرجه للناس ، لأنهما لا يخرجان أيضا عن مضمون الأمر بالمعروف ـ أى بكل ما هو خير ـ ومن يأمر

بالمعروف يأتمر به ، والنهى عن المنكر ، أى تجنب كل ما لا خير فيه ، وهو ما تعنيه التقوى أيضا .

ولنقرأ قول الله تعالى داعيا عباده المؤمنين إلى أن يتقوه حقّ تقاته ، وتذكيره لهم بما كانوا عليه قبل هدايتهم إلى الإسلام ، ثم دعوته سبحانه إلى أن تكون منهم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر .. فيتحقق لنا أن الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هى تحقيق لأمره تعالى : ﴿ **وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الاثم والعدوان** ﴾ يقول الله تبارك وتعالى :

﴿ **يآ أيها الذين آمنوا اتقوا الله حقّ تقاته ولا تموتن إلا وأنتم مسلمون . واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخوانا وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون . ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولَئك هم المفلحون** ﴾[1] .

وانه نتيجة لتخلق من خاطبهم الله بالتقوى وبالاعتصام بحبله ، ولغلبة ذلك عليهم ، وأنهم اصبحوا دعاة خير على التحقيق ، يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ، خاطبهم ربهم بعد ذلك بلغة الشمول فقال جل وعلا ، بعد آيات قليلة من الآية المذكورة :

﴿ **كنتم خير أمة أُخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن**

---

(١) سورة آل عمران ، الآيات ١٠٣ ــ ١٠٥ .

المنكر وتؤمنون بالله ﴾[1]

ثم يخاطب رب العالمين أهل الكتاب موجّها اياهم إلى سلوك طريق المؤمنين فيقول سبحانه بعد وصفه للمؤمنين بانهم خير أمة اخرجت للناس : **﴿ ولو آمن أهل الكتاب لكان خيرا لهم منهم المؤمنون وأكثرهم الفاسقون ﴾** ويذكّرهم أيضا بعد آية تالية فيقول :

﴿ ليسوا سوآء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله انآء الليل وهم يسجدون . يؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولَئك من الصالحين . وما يفعلوا من خير فلن يكفروه والله عليم بالمتقين ﴾[2]

وهكذا يتضح لنا أن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر هو من صفات المتقين من أمة محمد عليه الصلاة والسلام ومن صفات المؤمنين من اتباع من سبقه من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

المقصد الرابع
التراحم

إن من اسماء الله تبارك وتعالى « الرحمن الرحيم » ، وهما اسمان مشتقان من الرحمة ، وهما من أبنية المبالغة ، ورحمان أبلغ من

---

(١) سورة آل عمران . الآية ١١٠ .

(٢) سورة آل عمران . الآيتان ١١٣ ـ ١١٤ .

رحيم . والرحمن خاص بالله لا يسمى به غيره ولا يوصف . والرحيم يوصف به غير الله تعالى ، فيقال : رجل رحيم .

وذوو الأرحام هم الاقارب ، ويقع على من يجمع بينك وبينه نسب [1]

وقد وصف الله سبحانه رسوله المصطفى ﷺ بقوله :

﴿ لقد جاءَكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾ [2]

كما وصف الله سبحانه الرسول ومن آمن معه بقوله :

﴿ هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كلّه وكفى بالله شهيدا.محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحمَاء بينهم ﴾ [3]

وجعل سبحانه من اوصاف المؤمنين أنهم يتواصون بالصبر ويتواصون بالمرحمة فقال جل من قائل :

﴿ ثم كان من الذين آمنوا وتواصوا بالصبر وتواصوا بالمرحمة ﴾ [4]

فالتواصى بالمرحمة يصدر من الرحماء فما بينهم ، وهو تأكيد على تخلق المؤمنين بهذه الصفات التى يميزهم بها رب العالمين عن سواهم ممن لا يتخلق بأخلاقهم ، ويخصهم برحمته فيقول ﷺ :

---

(١) ويطلق فى علم الفرائض على الأقارب من جهة النساء (انظر كتاب النهاية فى غريب الحديث والأثر مادة رحم) .

(٢) سورة التوبة . الآية ١٢٨ .

(٣) سورة الفتح . الآيتان ٢٧ و٢٨ .

(٤) سورة البلد . الآية ١٧ .

« **وإنما يرحم الله من عباده الرحماء** »[1] ويقول ايضا :

« **الراحمون يرحمهم الرحمن ، إرحموا أهل الأرض يرحمكم من فى السماء** »[2]

وهذا التراحم بين المؤمنين يستمد جذوره من محبة الله واخلاصهم له ، وحرصهم على التخلق بما يصفهم به ، ويعطى مفعوله فى المجتمع الاسلامى ، فلا تظالم ولا تشاحن ، وإنما هو تعاطف وتراحم .. وكأنهم جسد واحد ، لقوله ﷺ :

« **مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** »[3]

وهذا المثل الذى يضربه الرسول ﷺ للمؤمنين يمثل حقيقة المتحابين فى الله المتناصحين فى الله المتراحمين فى الله ، يمثل حقيقة هذه الامة التى أخذت بهذه التعاليم ، واتصفت بها فكانت خير أمة أخرجت للناس بحق ، فانطلقت تدعوهم إلى الخير وتأمرهم بالمعروف ، وتنهاهم عن المنكر ، فأقبل الناس راغبين فى دين الله يتسابقون إلى الدخول فيه أفواجا أفواجا .. بعد أن تحقق لهم انه دين الرحمة ودين التراحم .

وان هذه الصفات المميزة للمؤمنين هى التى رفعت منزلتهم عند الله ، وهى التى دفعت بهم الى ان يكونوا مصابيح هدى ومنارات إرشاد لكل من جاء بعدهم .. وهى التى تضمن لكل من تخلق بها

---

(١) حديث متفق عليه .
(٢) رواه أبو داود .
(٣) حديث متفق عليه .

أن يسير على هديهم ، وأن يكون مثلهم وفى منزلتهم . وأن هذه الامة لن تنهض بعد كبوتها إلا إذا عاشت سيرتهم والتزمت بها .

ولنقرأ بعض أحاديث الرسول ﷺ عن الرحمة والتراحم ، لندرك كيف كان يضرب المثل بنفسه فى ذلك ، وهى جميعها من صحيح الامام البخارى :

- عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه قال : قَبَّلَ رسول الله ﷺ الحسن بن علىّ وعنده الاقرع بن حابس التميمى جالسا ، فقال الاقرع : إن لى عشرة من الولد ما قبّلت منهم احدا . فنظر اليه رسول الله ﷺ ثم قال :

« **من لا يَرحم لا يُرحم** »

- وعن عائشة رضى الله عنها قالت : جاء اعرابى إلى النبى ﷺ ، فقال : تُقبّلون الصبيان ، فما نُقبّلهم ، فقال النبى ﷺ : « **اوَ أَمْلِكْ لَكَ أنْ نَزَعَ اللهُ من قلبك الرحمة** »

- وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« **من سرّه أن يُبسط له فى رزقه وأن يُنسأ له فى إثره فليصِل رحِمَه** »

- وعن أبى هريرة أيضا عن النبى ﷺ قال :

« **إن الله خلق الخلق حتى إذا فرغ من خلقه قالت الرحم : هذا مقام العائذ بك من القطيعة . فقال : نعم . أما ترضين أن أصِل من وصلك وأقطع من قطعك ؟ قالت : بلى يا رب . قال : فهو لك** . قال رسول الله ﷺ : فأقرأوا إن شئتم ﴿ **فهل عسيتم إن**

توليتم أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم ؟ ﴾ »

– وعن عبد الله بن عمر عن النبى ﷺ قال : « **ليس الواصل بالمكافئ ، ولكن الواصل الذى إذا قطعت رحمه وصلها** »

– وعن أبى هريرة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« **جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين جزءا وأنزل فى الارض جزءا واحدا فمن ذلك الجزء تتراحم الخلق حتى ترفع الفرس حافرها عن ولدها خشية أن تصيبه** »

– وعن أبى هريرة ايضا ان رسول الله ﷺ قال :

« **بينما رجل يمشى بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب ، ثم خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش . فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى كان بلغ بى ، فنزل البئر فملأ خفَّه ثم أمسكه بفيه فسقى الكلب ، فشكر الله له فغفر له** . قالوا : يا رسول الله وان لنا فى البهائم أجرا ؟ فقال : **فى كل ذات كبدٍ رطبةٍ أجر** »

المقصد الخامس

التنـــاصح

التناصح مشتق من النصح . والنصيحة : هى إرادة الخير لمن يطلب النصح ، وإرشاده إلى الاصوب من الرأى ، والتناصح هو تبادل النصيحة . ولا تكون النصيحة نصيحة فى حقيقتها إن لم يُخلص صاحبها النصح . وقد ورد عنه ﷺ قوله عن الدين أنه

النصيحة ، لعظم أثرها وارتباطها بصدق تديّن قائلها . فقد روى تميم الدارى عن النبى ﷺ قوله : إن الدين النصيحة . قلنا لمن يا رسول الله؟ قال : لله ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين وعامتهم[1]

ومعنى النصيحة لله : صحة الاعتقاد فى وحدانيته وإخلاص النية فى عبادته .

والنصيحة لكتاب الله : هو التصديق به والعمل بما فيه .

والنصيحة لرسوله : التصديق بنبوته وبرسالته والانقياد لما أمر به ونهى .

والنصيحة لأئمة المسلمين أن يطيعهم فى الحق وأن لا يرى الخروج عليهم إذا جاروا .

والنصيحة لعامة المسلمين : إرشادهم إلى مصالحهم[2]

والنصيحة تكون فى كل ما يعود على المسلم بالخير ، ومن ذلك التعامل ، فلا غش ولا خديعة ، لأن ذلك لا يستقيم مع النصح الذى يريده المسلم لأخيه المسلم .. وقد اشترط الرسول ﷺ على جرير بن عبد الله عندما جاء يبايعه على الاسلام : النصح لكل مسلم .

وكذلك تشتمل النصيحة أيضا الصلات الاجتماعية ، فلا كذب ، ولا غيبة ، ولا نميمة .. لأن ذلك ليس من التناصح بشئ .. وإنما المطلوب فى النصيحة هو الصدق والاخلاص فى

---

(١) رواه الإمام مسلم .

(٢) من كتاب (النهاية فى غريب الحديث والأثر) مادة نصح .

القول ، وقد كبرت جناية أن يحدّث المرءُ أخاه حديثنا هو له به مصدق ، ومُحَدِّثُهُ كاذب[1]

والتناصح خُلق إسلامى تفرضه الأُخوّة الايمانية ، والمبدأ فى هذا هو أن تحب لأخيك ما تحبه لنفسك .

والتناصح يدخل فى باب التعاون الذى يتناول البر والتقوى ، لأن النصح للآخرين فيه عون لهم وإرشاد إلى ما فيه صلاحهم ، وبذلك تكون فى نصيحتك قد قدمت لهم أكبر خدمة هم آنئذ فى أمسّ الحاجة إليها .

والتناصح يدخل أيضا فى مفهوم التواصى بالحق والتواصى بالصبر المؤكد عليهما فى سورة العصر .

والتواصى بالحق ، هو التناصح ، الذى لا يتحقق إلا إذا صدق فيه الناصح ، وإن اقتران الحق بالصبر له دلالته على أن الدعوة إلى الحق لابد لها من صبر وحسن أداء . وكذلك التناصح فإنه إن لم يكن فى حكمة وبصيرة ويستعان عليه بالصبر ، لا يُعطى مردوده المرجوّ منه .

وإذا تحقق التناصح بين الاخوة فى المجتمع الاسلامى اطمأنت النفوس بعضها إلى بعض ، وعمّ الخير والتضامن بين أفراد هذا المجتمع ، وكان لذلك أثره فى جميع شؤون الحياة .

ولابد من الإشارة إلى ان التناصح يدخل فى مفهوم الشورى ، لأن المستشير يستنصح أصحاب الرأى فيما يعرضه عليهم ، فإن أشير

(١) من معنى حديث رواه الإمام أبو داود عن سفيان بن أسيد الحضرمى قال : كبرت جناية أن تحدث أخاك حديثا هو لك به مصدق . وأنت له به كاذب .

عليه بما يضار صحة الرأى يكون المشير غاشا للمستشير ومخادعا له .. وهذا لا ينتظر من أخ تربطه بأخيه فى الدين رابطة الايمان ، وبخاصة أن الاسلام جعل الشورى واجبة على من يلى أمر المسلمين وصفة إيمانية لهم جميعا ، ولا تتحقق الشورى وتؤتى ثمارها إلا بالتناصح وبيان الرأى الاصوب والافضل .

المقصد السادس :

التنــاصر بين المسلمين

إن من أبسط معانى أخوّة الدم أن لا ترضى لشقيقك أو أخيك أن يقع فى مأزق ، فتتركه وحده وانت قادر على انقاذه أو نصرته .

كما أنه من غير المعقول أن تعيش فى بحبوحة من العيش ، وأخوك إلى جانبك يتضوّر جوعا .. إلى آخر هذه المعانى التى يلمسها الإنسان فى تعامله مع أخيه ، أو فى مشاهدته لما يتعامل به الاخوة بعضهم مع بعض .

وإن الحالات الشاذة لا تهدم هذه القاعدة ، لأن تقوّى الانسان بأخيه أمر فطرى وليس فى حاجة الى التدليل عليه .

وهذا ما افترضه الشارع عندما قرر أن المؤمنين إخوة ، بكل ما تتضمنه من معنى ، أى أن صلات بعضهم ببعض هى صلات أُخوّة حقيقية زادتها ترابطا وقوة ، هذه الآصرة الايمانية التى تربط فيما بينهم .

لذلك نجد الرسول ﷺ يقرر أو يضع قواعد مسلّمة ، توضح

علاقة المسلمين بعضهم ببعض ، فيقول فى بعض هذه المعانى :

« **المسلم أخو المسلم لا يسلمه ولا يظلمه . والذى نفسى بيده لا يؤمن احدكم حتى يحب لاخيه من الخير ما يحبه لنفسه** »[1]

إن هذا الحديث له شواهد عدة ، تؤكد الأُخوّة بين المسلمين ، وإن هذه الأُخوّة توجب على صاحبها أن ينصر أخاه من اعدائه فلا يُسلمه إليهم .

وكلمة (لا يُسلمه) لا تقتصر على أن يسلم المسلم أخاه إلى عدوه بالمعنى الظاهر من هذه الكلمة ، وإنما يتضح أن لهذه الكلمة شمولا واسعا . وذلك فى أن لا يسلمه إلى اليأس ، ولا يُسلمه إلى التهلكة ، ولا يُسلمه إلى الخزى والعار ، ولا يُسلمه إلى التردى فى مهاوى الفساد ، كما تفيد أيضا أن لا يُسلمه إلى عدوه .. وهو قادر .. وهذه هى بعض معانى التناصر بين المسلمين .

وكذلك يجب على المسلم أن لا يظلم أخاه المسلم .

وهل يكون هناك تظالم بين الاخوة إلا فيما ندر ؟

وإذا ما وقع تظالم بين المسلمين ، أو وقع ظلم من أحدهما على الآخر ، فإن وَقْعَهُ يكون أليما جدا ، لأنه صدر ممن لا يُتَصَوَّرُ صدورُه عنه ، وكأنه صدر عن الانسان ذاته ، فهو الظالم المظلوم أو القتيل القاتل .. لأن أثر هذا الظلم متعدّ على النفس وعلى الآخرين .. وقد قيل :

وظلم ذوى القربى أشد مرارة على النفس من وقع الحسام المهند

---

(١) رواه الإمام البخارى .

وان تباعد المسلم عن أخيه وهجرانه له هو ظلم ، كما أن خذلانه في موطن يستحق منه النصر ظلم ، وان تركه يتخبط في مباذله وهو قادر على نصحه وانقاذه ظلم .. وان غمطه حقه ، أو بخسه حقه ظلم .. كما أن تطاوله عليه وسخريته منه هو ظلم ..

وان تعداد مثل هذه الامور التي لا يحبها الانسان لنفسه ولكنه يوقعها على غيره هو ظلم .. ويمكننا تحديد هذا المنطلق من أن كل ما لا يحب المسلم أن يقع فيه ، لو كان محل أخيه المسلم ، واوقعه فيه يُعد ظلما ..

لهذا وجدنا أن الرسول ﷺ يختم قوله بهذه القاعدة المؤكدة ويقسم عليها :

« **والذي نفسي بيده لا يؤمن احدكم حتى يحب لأخيه من الخير ما يحبه لنفسه** »[1]

وقد تكرر لفظ هذا الحديث برواية لا تتضمن كلمة (من الخير) .

ويؤكد الرسول ﷺ أن المؤمن بالنسبة لأخيه المؤمن كالبنيان يشدّ بعضه بعضا .. فإذا ما أصاب الوهن جانبا من هذا البنيان ، ولم يسارع الآخرون إلى رأب هذا الصدع لتهدم على الجميع ، ولات ساعة مندم .

وإن التناصر لا يقتصر ، كما سبق وألمحت ، على إنقاذ الانسان من عدوه (الطبيعي) وإنما يشمل نصر الانسان من ذاته من أن يسئ

---

(١) حديث متفق عليه .

إلى نفسه ، كما ورد فى قوله ﷺ :

« **انصر أخاك ظالما أو مظلوما** » قالوا : يا رسول الله هذا ننصره مظلوما فكيف ننصره ظالما ؟ قال : « **أن تأخذوا بيده عن المظالم فذاك نصره** »[1]

وهذا المعنى يفيد تدخل الآخرين لنصرة الانسان مما قد يعود على نفسه بالإيذاء والضرر .. وهذا من الناحية الفردية .

أما من الناحية الجماعية ، فإن أبرز مثل ضربه لنا رسول الله ﷺ فى وجوب التدخل لكف الاذى عن أنفسنا وعمّن يريده لنا ، ولو كان ذلك عن غير قصد ، هو حديث السفينة الذى يقول فيه :

« **مثل القائم على حدود الله والواقع فيها ، كمثل قوم استهموا على سفينة فأصاب بعضهم اعلاها وبعضهم أسفلها ، فكان الذين فى اسفلها إذا استقوا من الماء مرّوا على من فوقهم ، فقالوا لو انا خرقنا فى نصيبنا هذا خرقا ، ولم نؤذ من فوقنا ، فإن تركوهم وما أرادوا ، هلكوا جميعا ، وإن أخذوا على أيديهم نَجوا جميعا** »[2]

من هذا الحديث والذى قبله يتأكد لنا أن التهاون فى الأخذ على يد الظالم ، أو على يد من يحدث بسببه الهلاك المؤكد ، يعود ضرره على الجميع ، وأن من مصلحة الجميع أن يسارع القادرون منهم على التدخل لابعاد الخطر :

أولا : عمن يريد فعل الضرر لتعديه الى الذات اى الى الفاعل ذاته .

---

(١) رواه الإمام البخارى .

(٢) متفق عليه .

وثانياً : لابعاد الهلاك عن الجميع .

وان هذا التناصر فى المجتمع الواحد ، أمر توجبه الأخُوَّة الايمانية ، كما توجبه المصالح المشتركة للجميع ، ما دام أن أثر التخاذل أو عدم المبالاه سيعود على الجميع أيضا ، لذلك كان تدارك الأمر من أوله ، من اولى الواجبات ، لكيلا يستفحل ويصعب على العقلاء رأب هذا الصدع .. ولنقرأ قوله تعالى فى هذا الصدد :

﴿ واتقوا فتنة لا تصيبن الذين ظلموا منكم خاصة ﴾(١)

وان التناصر بين المسلمين يعمّهم حيث كانوا ، ويتحمل كل قادر على ذلك مسؤولية تقاعسه عند الاقتضاء ، ولو شطت به وبهم الدار .. لأن المسلمين يدٌ على من سواهم ، أى أنهم جسد واحد بشعورهم واحاسيسهم وآمالهم وعواطفهم وآلامهم وبسرعة انفعالهم بما يصيب احدهم ، ذكرا كان أو انثى .

فلو ان انثى من المسلمات أصيبت فى أقصى الأرض على يد عدوها بما يوجب نصرتها واستنقاذها من براثنه ، فإن الواجب فى ذلك يقع على القادرين جميعا ، لأنه تنفيذ للمعنى الاخوى المشترك فى أن المؤمنين والمؤمنات بعضهم أولياء بعض ، أى نصراء بعض .

وهذا ما اكدته الصرخة التى دوّت من أقصى بلاد الروم ، صرخة صدرت عن فتاة مسلمة أسيرة حاول أحدهم الاعتداء عليها ، فاستنجدت بقولها : (وامعتصماه) !

---

(١) سورة الأنفال . الآية ٢٥ .

إن هذه الصرخة لم تجد أذنا صماء ، وإنما وقعت فى اذن المعتصم ، فقال على الفور لبيك ، لبيك .. وحشد لها من الجيوش ما زلزل بها أركان ملك الروم ، واستنقذ الفتاة وفَكّ أسرها وأعاد لها حريتها .

وقد عرفت هذه الموقعة بموقعة (عمورية) التى تغنى بها الشعراء وكانت سنة ثلاث وعشرين ومائتين من الهجرة[1] .

إن هذه الصرخة ، وهذه التلبية ، وهذه النجدة السريعة هى من معانى هذه الاخوة الايمانية التى آتت ثمارها على خير وجه .

وإنه لولا هذه الآصرة الايمانية التى تربط بين هذه الفتاة المسلمة وبين المعتصم ، لما استنجدت به ، ولما سارع هو إلى انقاذها بهذه الصورة المشرفة .

غير أننا فى هذه الأيام ، وفى كثير من بلاد العالم الاسلامى تتردد أمثال هذه الصيحات ولكنها لا تلاقى نخوة المعتصم ..

كما أن نجدة المسلمين بعضهم بعضا فى مناسبات عدة بالمال والسلاح وفقا لما نقرأه فى تاريخنا الاسلامى تفصح لنا عن تحقيق مقصد من مقاصد الاخوة فى الاسلام ، وهو الاسراع إلى مدّ يد العون إلى من وقع عليه اعتداء من عدو مشترك .

فقد حدّثنا التاريخ عن صرخة صدرت عن المسلمين فى بلاد الشام يوم أن هاجمها التتار سنة اثنتين وسبعمائة من الهجرة ، استنجدوا بإخوانهم المسلمين فى مصر ، فتفتحت لها الآذان

---

(١) ونظمها أبو تمام فى قصيدة رائعة مطلعها :

السيف أصدق أنباء من الكتب   فى حده الحد بين الجد واللعب

واستجابت لها القلوب ، وسارعوا بتعبئة الجيوش لصد العدوان الغاشم عن هؤلاء الاخوة المستهدفين .

ولولا هذه الاخوة الايمانية التى تربط بين شعبى البلدين ، لما سارعت الالوف من ابناء مصر لنجدة إخوانهم فى الشام ، وهم يعلمون أنهم يقدمون على حرب قد تذهب فيها أموالهم وتزهق فيها أرواحهم .. ولكن الدافع الايمانى ورابطة الاخوة فى الاسلام هى التى دفعت بهذا التعاون ، على الرغم مما فيه من خطر محقق ، ومع ما يشكّله أيضا ذلك العدو المشترك من خطر وشيك قد يحدق بمصر ذاتها .. فإن هذا الاندفاع إلى نصرة إخوانهم فى الايمان لم يحُلْ دونه أيٌّ مانعٍ ولم يتقاعسوا عن سرعة الاجابة الفعلية ، وإنما أقبلوا مسترخصين الموت فى سبيل تحقيق هذا المقصد من مقاصد الاخوة فى الاسلام ، وهو التناصر مع إخوانهم فى العقيدة .

وهذا ما حدث أيضا عندما سارع عدد لا يستهان به من شباب الاخوان المسلمين فى مصر للمشاركة فى القتال ضد اليهود فى فلسطين عام ١٩٤٨ ، فإن هذه المشاركة وهذا التناصر لم يكن له دافع دنيوى .. وإنما هو الايمان بالله والحب فى الله الذى حملهم على المسارعة فى بذل ارواحهم رخيصة لاعلاء كلمة الله .. مع إخوة لهم فى الله .

وإن الامثلة على ذلك كثيرة إذا أراد أحدنا استقصاءها فى تاريخنا الاسلامى قديما وحديثا .

وإن ما أهدف إليه من هذه الامثلة هو أن أؤكد على أن الأخوة الايمانية هى التى تدفع بالمسلم أنّى كان وكانت جنسيته ، وكان

لونه ، أن يسارع فى عون أخيه ابتغاء مرضاة الله وتنفيذا لأوامره وتوجيهاته من ان المؤمنين بعضهم أولياء بعض ، وان الله فى عون العبد ما كان العبد فى عون أخيه .

وقد يرد سؤال عن السر فى تقصير كثير من الدول الاسلامية فى تحقيق هذا التناصر ، مع كثرة دواعيه فى أيامنا هذه .. فإن الجواب عن هذا السؤال لا يحتاج إلى بذل عناء أو كثرة تحليل ، وإنما يرد بسبب ضعف الإيمان فى بعض النفوس وابتعاد معظم هذه الدول عن الاحتكام إلى شرع الله والعمل بأوامره ..

المقصد السابع
التكافل

إن كلمة التكافل من الألفاظ التى تفيد اشتراك أكثر من واحد فى تحقيق هذا المعنى الذى تتضمنه هذه الكلمة ، كالتعاون والتآزر والتناصح ..

والكفالة تعنى ضمان إنسان بماله أو بعمله أو بشخصه لشخص آخر ، أو لجهة اخرى ، وقد وردت فى القرآن العظيم فى قوله تبارك وتعالى :

﴿ وأنبتها نباتا حسنا وكفّلها زكريا ﴾[1]

وفى قوله تعالى :

---

(١) سورة آل عمران ، الآية ٣٧ .

﴿ **فقالت هل أدلكم على اهل بيت يكفلونه لكم** ﴾[1] .

وفى هاتين الآيتين يرد المعنى بضم المكفول إلى من يكفله ليقوم بتربيته وتعهد شأنه ، وهذا المعنى ورد أيضا فى قوله ﷺ :

« **أنا وكافل اليتيم كهاتين فى الجنة ـ أو أشار باصبعيه السبابة والوسطى** » . متفق عليه .

فالكافل هو القائم بأمر اليتيم المربّى له ، وهو من الكفيل (الضمين)[2]

فكلمة التكافل بمفهومها العام تعنى التضامن ، أى أن يضمن كل فرد قادر فردا آخر بحيث يعم ذلك الجميع فيشكلون بهذا التآزر والتمازج أمة متماسكة يشد بعضها أزر بعض .

وهذا ما سجله الرسول ﷺ بحق المسلمين المتآخين فى الله فى اول دستور وضعه للدولة المسلمة بعد مَقْدِمِهِ إلى المدينة ، وادع فيه يهود ، وعاهدهم وأقرّهم على دينهم وأموالهم ، وشرط لهم واشترط عليهم ، فقال فى مطلع هذا الكتاب بما يخص الأمة المسلمة الناشئة :

« هذا كتاب محمد النبى ـ ﷺ ـ بين المؤمنين والمسلمين من قريش ويثرب ومن تبعهم ولحق بهم وجاهد معهم ، إنهم أمة واحدة من دون الناس ، المهاجرون من قريش على رَبْعَتِهم[3] يتعاقلون فيما بينهم وهم يفدون عانيهم بالمعروف والقسط بين المسلمين »[4] .

---

(١) سورة القصص . الآية ١٢ .

(٢) من كتاب (غريب الحديث والأثر) .

(٣) ربعتهم = أمرهم الذى كانوا عليه من أخذ الديات واعطائها . وهذا معنى يتعاقلون .

(٤) عانيهم = أسيرهم .

وقال عن الانصار : « انهم على ربعتهم يتعاقلون معاقلهم الاولى ، وإن كل طائفة تفدى عانيها بالمعروف والقسط بين المؤمنين » .

وقال عن الفئتين من المهاجرين والانصار : [1]

« وإن المؤمنين لا يتركون مُفْرِحاً[2] بينهم ان يعطوه بالمعروف فى فداء أو عقل ، وأن لا يحالف مؤمن مولى مؤمنٍ دونه . وان المؤمنين المتقين على من بغى منهم أو ابتغى دسيعة ظُلم[3] أو إثم أو عدوان أو فساد بين المؤمنين ، وأن أيديهم عليه جميعا ، ولو كان ولد أحدهم . ولا يقتل مؤمن مؤمنا فى كافر ، ولا ينصر كافرا على مؤمن . وان ذمة الله واحدة يجير عليهم ادناهم ، وان المؤمنين بعضهم موالى بعض دون الناس »

ومن هذا النص يتبين أن المهاجرين والانصار ، ومن دخل معهم فى دين الله ، اصبحوا أمة واحدة بعد أن كانوا متباعدين بالنسب والولاء ، وأصبحت ذمتهم واحدة ، ويجير عليهم أدناهم ، وأنهم يد واحدة على من سواهم مهما كانت قرابته ، وأن بعضهم موالى بعض (نصراء) دون الناس ، وكذلك يفدون أسراهم ويقومون بوفاء الدين عن الغارمين .. كل ذلك بالتكافل والتضامن فيما بينهم ، لأنهم أخوة فى الله ..

(١) من سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٣٠ .
(٢) المفْرِح = المثقل بالدين .
(٣) دسيعة ظلم=أى ما يدفعه الإنسان عن نفسه دون أن يكون محقوقاً . والدسيعة=هى العطية . وإذا أضيفت إلى الظلم فهى تعنى أنها أعطيت من دافعها دون وجه حق .

ومن هذه المعانى والتطبيقات العملية فما بينهم ، تكونت الأمة المسلمة ، وانطلقت الدعوة الاسلامية بين الناس ، فأقبلوا يدخلون فى دين الله افواجا .

وقد طبق هذه المعانى ابوعبيدة بن الجراح عندما اقتضت الضرورة ذلك فى حديث رواه جابر بن عبدالله قال :

« بعث رسول الله ﷺ بعثاً قِبَلَ الساحل فَأَمَّرَ عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاثمائة وأنا فيهم ، فخرجنا حتى إذا كنا ببعض الطريق فنى الزاد ، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع ذلك كله فكان مِزْوَدَىْ تمر[1] ، فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فَنِىَ فلم يكن يصيبنا إلا تمرة تمرة ، فقلت[2] وما تغنى التمرة ؟ فقال : لقد وجدنا فقدها حين فنيت . قال : ثم انتهينا إلى البحر ، فإذا حوت مثل الظَرِبِ[3] فأكل منه ذلك الجيش ثمانى عشرة ليلة ، ثم أمر ابو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ، ثم أمر براحلة فرحلت ثم مرت تحتهما فلم تصبهما »[4] .

فالتكافل بين أفراد المجتمع لا يبرز بصورة واضحة وجلية ، الا عند اقتضاء الحاجة ، وفى حالة الازمات ، وعندها يُعرف المجتمع المتماسك من غيره ، ويقطف ثمار تكافله وتآزره فى ايام الشدة والضيق .

---

(١) مِزْوَدَىْ تمر = مثنّى مزود . وهو ما يوضع فيه الزاد .
(٢) فقلت = أى هشام أحد رواه الحديث . قال لجابر بن عبد الله يسأله .
(٣) الظَرِبْ بكسر الراء = الجبل الصغير .
(٤) رواه البخارى .

وان المسارعة فى مدّ يد العون إلى من هو فى حاجة إليه ، تكسب ودّه ونصرته فى وقت قد يكون هو فيه أفضل حالا مما أصبحت عليه ، وتمتص منه النقمة على مجتمعه الذى لم يتخل عنه فى ساعة العسرة .

هذا وان تدارك الانسان فى لحظة الحاجة ، وهو يشعر بضرورة العون من غيره ، لها تأثير كبير على تحوّل شعوره نحو من سارع فى نجدته ، فيضمر له الحب منتظرا اللحظة التى يتمكن فيها من أن يرد له مثل هذا الجميل أو أكثر..

وهكذا فإن المجتمع المتكافل يعيش أفراده فى اطمئنان وأمان وذلك فى حال ما إذا قصّرت بأحد أفراده أسباب الحياة ، فإنه سيجد فى إخوانه من يسرع إلى مساعدته ، ويرتفع به إلى المستوى اللائق وكأنه لم ينقصه شئ من احتياجاته التى كان يرجو ان يوفرها لنفسه قبل أن يعجز عن ذلك ، أو تحول دونه أسباب لا يد له فيها ..

وإن كان هو فى اصله عاجزا عن الكسب لسبب من الأسباب ، فإن مدّ يد العون إليه بما فيه الكفاية تنقذه من شعور العجز ، وتنتشله من الأفكار السوداء التى يوسوس له بها شيطانه .

فالتكافل فى معناه ، وما يراد منه ، يجعل التعاون بين أفراد المجتمع بعضهم مع بعض أمرا مسلما وحقيقة واقعة لا تحتاج إلى بيان ، لأن شعور الفرد المسلم بالنسبة إلى غيره ، هو شعور غيره بالنسبة إليه ، فهم وإن تعددوا فى المجتمع وكثروا وانتشروا فى البلاد ، كالجسد الواحد الذى يتكون من أعضاء عدة ، لكل عضو

نشاطه وأهميته ، وكل عضو متصل بالعضو الآخر وبالاعضاء الاخرى بوحدة الشعور والاحساس والمصير..

ولهذا فإن اختلاف مكانة كل فرد فى المجتمع لا تُعدم الشعور فيما بينهم ، لأن كل واحد منهم متمم للآخر ، ويؤدى (دوره) الذى لا يؤديه سواه ، أو لا يغنى عنه آخر.

وهكذا أفراد الأمة ، فإنهم يختلفون بالقدرات والاستعدادات ، ويتفاوتون بالارزاق ، ولكنهم من حيث إنهم يعيشون فى مجتمع واحد ، فإن كل واحد منهم يجب أن يحصل على كفايته المعاشية من مجتمعه ما دام يؤدى واجبه بالتعاون مع الآخرين .. وأن لا يشعر عند حصوله على حد الكفاية من مجتمعه ، بأى مذلة أو منقصة ، لأن ما يحصل عليه هو حق من حقوقه .

هذا وإن توفير الاسباب التى تضمن للفرد الذى قصرت به إمكاناته وظروفه كفايته ، هى من واجبات أفراد المجتمع .. لأن عليهم أن يوفروا لأمثال هؤلاء ما يرتفع بهم إلى المستوى اللائق بهم ، من حيث إنه فرد مسلم من أبناء هذا المجتمع ، وذلك دون أن تُهدر كرامته ، أو تُمتهن شخصيته ما دام لم يصدر عنه ما يوجب المؤاخذة ، ولم يتقاعس عن الأخذ بالأسباب .. وهذا من الناحية المادية ..

غير أن الفرد المسلم فى مجتمعه ولو زلّت به قدمه وانحدر نحو الغواية ، فإن النظرة إليه نظرة شفقة ورحمة ، لا نظرة احتقار وشماتة وهجران .. نظرة تحاول أن تجد له العلاج المادى أو النفسى لتنتشله مما هو واقع فيه ، كمن تنزلق به قدمه ، أو يصدمه شئ ،

أو يقع فى حفرة .. فهل يترك على حاله ؟ ، أم يجد فى إخوانه من يسارع إلى تقديم العون إليه لانقاذه من هذه الحالة ؟

وكذلك من زلّت به قدمه من الناحية المعنوية ، فانه سيلقى نفس المبادرة الى المساعدة لانتشاله مما هو فيه .

وإن أبرز وصف يصف هذا التعاون والتناصر ضد المفاسد المعنوية أو ضد العجز المادى قول الرسول ﷺ :

« **مثل المؤمنين فى توادّهم وتعاطفهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** »[1]

وهذا ابلغ وصف وأدقّه فى أن المجتمع الاسلامى مجتمع موحّد من حيث الشعور والاحساس بحيث يتأثر المجتمع بأسره فيما إذا أصيب فرد منه ، كما يتأثر الجسد الواحد فيما إذا اشتكى عضو منه .

وكذلك يقول عليه الصلاة والسلام فى هذا المعنى :

« **المسلمون تتكافؤ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على من سواهم** »[2]

وإن كلمة (يد على من سواهم) تفيد وحدة المجتمع ايضا ، لأن اليد هنا تعنى يد الجميع وكأنها يد واحدة ، أى أنها تتصرف تصرف اليد الواحدة فى جميع أمورها .

ولهذا شبّه الرسول ﷺ تآزر المسلمين وتكافلهم وتكاتفهم بالبنيان المرصوص المتماسك يشدّ بعضه بعضا .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الإمام أبو داود .

وهذه التشبيهات جميعها تؤكد وحدة المجتمع الاسلامى فى إحساسه وشعوره وتداعيه إلى التناصر والتعاون والتآزر ، ومن ثَمَّ التكافل ، بحيث إن كل واحد من أفراد المجتمع الاسلامى كافل ومكفول ، كما إنه راع ومسؤول .

الفصل الثانى
بعض آثار هذه المقاصد

أولاً ـ وحـدة السـلوك

الفرع الأول
المؤمـن مـرآة أخيـه

إن الإخاء فى العقيدة يفيد التزام المتآخين فيها بأن يأخذوا بأوامرها ، وأن يجتنبوا نواهيها ، وأن يتخلقوا بما تأمر به محاسن الأخلاق ، دون تهاون أو تقاعس ، عند ذلك تجدهم متماثلين فى السلوك متشابهين فى الأخلاق ، وكأنهم شخص واحد ، كما ورد فى قوله ﷺ :

« **المؤمن مرآة أخيه** »[1] وفى رواية لأبى داود « المؤمن مرآة المؤمن ، والمؤمن أخو المؤمن » يكف عليه ضيعته ، ويحوطه من ورائه .

وورد فى رواية للترمذى :

« إن أحدكم مرآة أخيه فإن رأى به أذى فليمطه عنه »

(١) رواه الإمام البخارى فى الأدب المفرد .

وهذا القول منه ﷺ يفيد انعكاس التعامل بينهم ، وكأنه يصدر من أحدهم ، فتجدهم متماسكين متعاطفين متراحمين ، ينطلقون من منطلق واحد ، أو هم كما وصفهم رسول الله ﷺ : « **كالجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى** » كما سبق الاستشهاد به .

وإن وحدة السلوك تنبثق أيضا عن وحدة الشعور ، وعن وحدة المعتقد ، وعن وحدة المصير ، فتراهم فى تصرفاتهم لا يختلف أحدهم عن أخيه إلا بزيادة فى البر والتقوى ، وهذا هو التفاضل الذى يتسابق أحدهم ليحققه بنفسه ، فيكون قدوة لغيره وأمثلة حية لما يعتقده .

وإن انتشار الإسلام فى بقاع الأرض يؤكد هذه الوحدة فى السلوك ، فحيثما كنت فى ديار الإسلام تجد المسلمين متماثلين فى تصرفاتهم وفى أسلوب حياتهم ، لأنهم يلتزمون بالاوامر الصادرة إليهم من نبيهم – ﷺ – لأنه القدوة الحسنة لهم . فهم يحرصون على أن يمتثلوا لأوامره وتوجيهاته وسلوكه الشخصى ، لأنه المثل الأعلى لكل من يريد الفلاح فى دنياه وآخرته ، فليحرص كل منا على أن يكون القدوة الحسنة لغيره فى تصرفاته جميعها لتتحقق المعانى التى أرادها الرسول ﷺ من قوله « **المؤمن مرآة أخيه** » .

الفرع الثانى
العبـــادات

إن العبادات فى الإسلام هى الأسلوب التطبيقى للأوامر التى نعم

جميع المسلمين فى مظاهرها الموحدة وفى أوقاتها المحددة . فهى التى إذا ما شاهدها غير المسلم تطبق فى مكانٍ ما ، ووجدها تطبق فى مكان آخر من قبل أشخاص آخرين ، ربط ما بين هاتين المشاهدتين وتأكد إن أصحابهما هما على طريق واحدة ، لأن مظاهر أعمال الجماعة الأولى تطابق مظاهر أعمال الجماعة الثانية . أى أن العبادات هى التوحيد توحّد فيما بين المسلمين حيثما كانوا من حيث المظهر ، وهى التى تعكس الانطباعات عنهم عند من يشاهدهم ، كما أنها هى التى تحرك مشاعرهم فتوحد بين قلوبهم ، فتكون الدافع لهم للتعاون الصادق المنبثق عن هذه المشاعر وعن هذه الوحدة الموحدة لهم .

وهناك مظاهر سلوكية اجتماعية أخرى لها أثرها فى تحبيب المسلم بأخيه المسلم وفى توحيد منطلقاتهم .. فهى التى تميزهم عن غيرهم ..

وإن إساءة بعضهم أن انحرافهم عن التخلق بما يفرضه الاسلام عليهم ، يجب أن لا يؤخذ ضد الإسلام ، وإنما هو تق .ير شخصى ممن لا يلتزم بتطبيق أوامر الإسلام على نفسه التزاما واجتنابا ، أو على من هو تحت مسؤوليته ، فتكون مسؤوليته مضاعفة ، لأنه قصّر فى حق نفسه ، كما أنه قصّر فى حق غيره ، وهو بالتالى أعطى انطباعا سيئا عن الدين الذى يعتقده ، فيكون سببا فى صدّ بعض من تعامل معهم بهذه الصورة السيئة عن الإسلام .. خلافا لمن يكون سببا فى حسن تعريف هذا الدين للآخرين بحسن سلوكه وحسن تعامله .. وشتّان بين الاثنين فى الآثار والنتائج .

وإن مسؤولية ترك هؤلاء المقصرين يسيؤون التصرف يتحملها مجتمعهم ، لأنه لم يأخذ على أيديهم ، ولم يأطُرهم على الحق أطرا ..

الفرع الثالث
السـلام

إن السلام فى الإسلام له معانى عدّة ، ويكفى أنه من أسماء الله الحسنى .

والسلام يعنى الهناءة والسعادة والراحة فى حياة الإنسان ، كما يعنى التحية التى يتبادلها المسلمون فيما بينهم فى مختلف الأوقات ، وفى مختلف الحالات كنوع من التحية ودعاء للأخ المسلم بالحفظ والرعاية .

فهم يتبادلون السلام عند الدخول ، وهم يتبادلون السلام عند الخروج ، وعند الالتقاء ، فيسلم الراكب على الماشى ، والماشى على القائم أو القاعد ، والقليل على الكثير..

وذلك امتثالا لأمره ﷺ وتأديبه ..

فقد روى عنه ـ ﷺ ـ فى وجوب إفشاء السلام والإكثار منه قوله :

« إذا انتهى أحدكم إلى مجلسٍ فليسلّم ، فإن بدا له أن يجلس فليجلس ، ثم إذا قام فليسلم فليست الأولى بأحق من الثانية » (١)

وكان ﷺ إذا لقى أصحابه لم يصافحهم حتى يسلم عليهم بقوله :

« وما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلا غفر لهما قبل أن

---

(١) رواه الإمام الترمذى .

يتفرقا » لأن أولى الناس بالله تعالى من بدأهم بالسلام[1] .

فتحية المسلمين فيما بينهم « السلام » ، واختتام صلاتهم تكون بالسلام ، وتحيتهم يوم يلقونه . جل وعلا ـ سلام .. وهكذا يفشو السلام بينهم فيعم مجتمعهم جميعا رجالا ونساء ، وأطفالا .. وإن إفشاء السلام سبب للمحبة كما قال عليه الصلاة والسلام ...

الفرع الرابع
الإســـــتئذان

لا يكون الاستئذان إلا إذا كان الإنسان فى خلوة مع نفسه ، لكيلا يدخل عليه أحد وهو فى وضع لا يستطيع معه استقباله ، أو لا يكون فى حالة تسمح له فيها استقبال أحد ..

والاستئذان نوع من آداب السلوك الذى يتميز به الناس بعضهم عن بعض ، لأن الاستئذان لا يقتصر على التمكين من الدخول على أحد ، لتعدد أهدافه ومقاصده ، فإنك تستأذن فيما إذا أردت استعارة شيء ، أو السؤال عن شيء ، أو الانصراف من مجلس لست فيه وحدك ، وإنما اقتضت الحاجة أن تنصرف قبل غيرك .. وهكذا من أنواع الاستئذان الكثيرة ..

وكان ﷺ إذا أتى باب قوم لم يستقبل الباب من تلقاء وجهه ، ولكن من ركنه الأيمن ، أو الأيسر ، ويقول «**السلام عليكم** ،

(١) رواه الإمام أبو داود وابن ماجة والترمذى وأحمد .

السلام عليكم » ..

وكان لا يرضى لأحد من المسلمين أن يدخل على أهله إلا أن يستأذن ثم يُسلم .. ولو كانت أمه .. لقوله ﷺ جوابا عن سؤال أحدهم له « أأستأذن على أمي ؟ فقال : نعم . قال : إني معها في البيت . قال : « استأذن عليها . قال : إني خادمها . قال : استأذن عليها ، أتحب أن تراها عريانة ؟ قال : لا . قال : استأذن عليها .

وقد قال الله تبارك وتعالى :

﴿يآ أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا وتسلّموا على أهلها ذلكم خير لكم لعلكم تذكرون . فإن لم تجدوا فيها أحدا فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم ..﴾[1]

وقال أيضا :

﴿وإذا بلغ الأطفال منكم الحلم فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم﴾[2]

وقال أيضا :

﴿يآ أيها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت ايمانكم والذين لم يبلغوا الحلم منكم ثلاث مرات ، من قبل صلاة الفجر وحين تضعون ثيابكم من الظهيرة ومن بعد صلاة العشآء ..﴾[3]

وقال أيضا :

﴿إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر

---

(١) سورة النور ، الآيتان ٢٧ و ٢٨ .
(٢) سورة النور ، الآية ٥٩ .
(٣) سورة النور ، الآية ٥٨ .

جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه إن الذين يستأذنوك أولئك الذين يؤمنون بالله ورسوله فإذا استأذنوك لبعض شأنهم فأذن لمن شئت منهم واستغفر لهم الله إن الله غفور رحيم﴾[1] .

هذه هى بعض توجيهات الإسلام فى الاستئذان ، ومنها يتأكد لنا أن الإسلام يريد تربية أفراده تربية اجتماعية تعود عليهم جميعا بحسن النتائج وسلامتها ..

الفرع الخامس
التيـــامـن

وإن من آداب السلوك الإسلامية « التيامن »

فقد كان ﷺ يعجبه التيمّن فى شأنه كله ، فى طهوره ، وترجّله ، وتنعّله ، وكان يجعل يده اليمنى لطهوره وطعامه ، وكانت اليسرى لخلائه ، وماكان من أذى ..

وقد روى عنه ﷺ قوله :

« **إذا لبستم وإذا توضأتم فابدأوا بأيامنكم** »

وكان يفضل النوم على الجانب الأيمن ..

ويأمر بأن تكون يد اليمين على يد الشمال فى الصلاة ..

وقد امتدح الله سبحانه أصحاب اليمين ، وجعل الفائز يوم القيامة من أوتى كتابه بيمينه .. إلى غير ذلك من مظاهر السلوك الإسلامى الذى يتميز به الفرد المسلم عن غيره ..

---

(١) سورة النور ، الآية ٦٢ .

ثانياً ـ تطهـــير النفـــس

إن نفس المسلم لا تحمل غلاً على مسلم ، ولا تحقد عليه ، ولا تضمر له إلا الخير ، لأن منطلقها فى ذلك قول الرسول ﷺ « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحبّ لنفسه** » . وهل يحب أحدنا لنفسه غير الخير ، وبذلك فإن نفس المسلم طاهرة زكية ، لا يكدرها إلا انحرافها ، أحيانا عن الجادة ، أو تألمها لانحراف غيرها ، أو عدم انصياعه للحق ، فهى بهذه الحالة تكون أكثر تألما مما لو أصيبت هى نفسها ببعض التقصير ، لأن نفس المؤمن نفس لوّامة لا تقرّه على خطأ ، ولا ترضى له الاستمرار فيه .. وهكذا شعور المسلم فى حالة ملاحظته انحراف غيره وإصراره على ذلك .. فإنه يحرص على هداية أخيه المسلم ويرغب فى عدم استمراره فى الغواية ..

وإن الأخوّة الايمانية سبيل إلى تمتين المحبة ، وإن أسباب المحبة عديدة جدا ، ومن أبرزها ارتباط القلوب الطاهرة بالله الذى اجتمعوا على محبته .. ووحدة مشاعرهم التى يلتقون عليها ، وكذلك وحدة آمالهم التى يسعون الى تحقيقها ..

وإن وجود شعور المحبة فى قلب المسلم نحو أخيه المسلم دليل على طهارته من أى حقد ، أو ضغينة ، لأن الحب لا يلتقى مع خبث النفس وضغائنها ..

وإن إعلان المحبة بين الأخوة أمر مرغوب فيه ، لكيلا تبقى هذه المودة الأخوية مخفية عن الآخرين ، لقوله ﷺ :

« **إذا أحب أحدكم أخاه فليعلمه أنّه يحبه** »(١)

وجعل ثمرة هذه المحبة الخالصة لله دخولهما الجنة معا .

وإن هذا الحب الخالص لله سبحانه لا يُبقى فى قلوب المتحابن أى شحناء أو بغضاء أو تنافس .. لأن هذه الصفات الذميمة لا مكان لها مع هذا الحب الخالص .

ولذلك حذّر الرسول ﷺ المسلمين من هذه الخصال الذميمة وقال :

« **ولا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تقاطعوا وكونوا عباد الله إخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث** »(٢) .

أى كونوا إخوانا ، وكأنكم من أبٍ واحدٍ وامّ واحدةٍ ، وذلك بابتعادكم عن هذه المنهيات ، وإذا لم تتركوها تنقلبون أعداء .. لأن من حق الإخوة فى الله أن يبتعدوا عن مثل هذه الصفات الذميمة وأن يتعاونوا على ما فيه خيرهم ...

وإن الابتعاد عن كل ما يسيء إلى المسلم من أخيه المسلم ، يحقق سببا من أسباب المحبة ، وهذا من الناحية السلبية ، لأنه كفَّ عنه أذاه ، وجنّبه إساءته ..

وإن من الخير للمسلم أن يتجنب ما نهى الله عنه ليحقق فى

---

(١) أخرجه الإمام الترمذى وأبو داود وأحمد .

(٢) متفق عليه .

نفسه مفهوم الإيمان الذى لا يصح معه إيمانا إن أقدم على ارتكاب ما نهى الله عنه .

وقد نهى رب العالمين فى سورة الحجرات عن بعض ما لا يليق بخلق المسلم ولا بطهارة قلبه فقال جل شأنه :

﴿يآ أيها الذين آمنوا لا يسخر قوم من قوم عسى أن يكونوا خيرا منهم ولا نسآء من نسآء عسى أن يكنّ خيرا منهن ولا تلمزوا أنفسكم ولا تنابزوا بالألقاب بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان ومن لم يتب فأولآئك هم الظالمون﴾ .

﴿يآ أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم ولا تجسسوا ولا يغتب بعضكم بعضا أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتا فكرهتموه واتقوا الله إن الله تواب رحيم﴾ [١]

وهذا القول من الله سبحانه أمرٌ بأن لا يتصف المؤمنون بهذه الصفات التى تجعل منهم ظالمين ، وتوجيهٌ إلى التخلق بأضدارها ، وهى الأمور الإيجابية التى تزيد الأخوّة متانة وقوة .

أما من الناحية الإيجابية ، فإن ما يؤديه المسلم لأخيه المسلم من خدمات تزيد فى المحبة ، وتكون سببا فى تطهير النفوس وتخليصها مما يفسدُ عليها طويتها ..

لذلك قال عليه الصلاة والسلام موجّهاً المسلمين إلى المسارعة فى فعل الخيرات ، ومن هذه الخيرات أن يسعى المسلم فى حاجة أخيه وأن يعمل على تفريج كربة من كربه وأن يستره فيما إذا اطلع

---

(١) سورة الحجرات ، الآيتان ١١ و ١٢ .

منه على عورة :

« **من كان فى حاجة أخيه كان الله فى حاجته .**

ومن فرّج عن مسلم كُربة فرّج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة .

ومن ستر مسلما ستره الله يوم القيامة .

ومن يّسر على معسر فى الدنيا يّسر الله عليه فى الدنيا والآخرة .

والله فى عون العبد ماكان العبد فى عون أخيه .

ومن ردّ عن عرض أخيه ردّ الله عن وجهه النار يوم القيامة »[1] .

وقال أيضا ترغيبا فى عمل الخير مهما كان ظاهره يسيرا :

« **إفراغك فى دلو أخيك صدقة .**

وأمرٌ بالمعروف ونهىٌ عن المنكر صدقة .

وتبسمك فى وجه أخيك صدقة .

وإماطتك الحجر والشوك والعظم عن طريق الناس لك صدقة .

وهدايتك الرجل فى أرض الضالّة صدقة »[2] .

ويقول عليه الصلاة والسلام إبراز للصلات الاجتماعية بين المسلمين .

« **إن للمسلم على أخيه المسلم ست خصال واجبة ، إن ترك منها**

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه الإمام الترمذى .

شيئا فقد ترك حقا واجبا لأخيه :

١ ـ يسلم عليه إذا لقيه[١]

ـ ومن تمام التحية أن تصافحه .

إذا لقى أحدكم أخاه فليسلم عليه ، فإن حالت بينهما شجرة أو جدار أو حجر ، ثم لقيه فليسلم عليه أيضا .

٢ ـ ويجيبه إذا دعاه .

٣ ـ ويشمته إذا عطس .

٤ ـ ويعوده إذا مرض .

٥ ـ ويحضره (يحضر تشييعه) إذا مات .

٦ ـ وينصحه إذا استنصحه » .

وهذه التوجيهات تشمل الخدم (والمماليك عندما كانوا فى التعامل) لقوله ﷺ :

« **إخوانكم خولكم جعلهم الله تحت أيديكم ، فمن كان أخوه تحت يده ، فليطعمه من طعامه وليلبسه من لباسه ، ولا يكلفه ما يغلبه ، فإن كلفه ما يغلبه فليُعنه** »[٢] .

ومن هذه الأحاديث ذات الطابع الاجتماعى نجد أن الرسول ﷺ يؤكد فيها على ذكر كلمة (أخيه وأخاه) ويكررها لتفعل مفعولها فى النفس المؤمنة .

وإن تخلق المسلم بهذه الصفات وحرصه على الأخذ بها ،

---

(١) أخرجه الإمام أحمد .

(٢) متفق عليه .

يعكس على أخيه المسلم آثارها ، فتصفوا النفوس وتطهرُ ، وتتفتح لمعانى الخير ، وبطيب البذل ، فيبادر أحدهم إلى تحرّى ما يُرضى أخاه المسلم وما يجلب له السرور ، فتتحقق مقاصد الأخوّة فى الإسلام وتؤتى ثمارها فى إيجاد مجتمع إسلامى يقوم على هذه المفاهيم العالية .

وإن هذه المفاهيم لا تؤتى ثمارها بالفعل إلا إذا عزم المسلم على التخلق بها ليكون أسوة لغيره وقدوة . وإن انتظرك الآخرين أن يبادروا بالجميل دون أن تكون أنت السبّاق ، أى أن لا تكون أنت ممّن ضربتَ المثل فى حرصك على المبادرة والمسارعة الى الخيرات ، فسيكون غيْرُكَ أَفْضَلَ منك فى هذه الناحية .

هذا وإن من خلق المسلم أن يتجاوز عن السيئات وأن لا يقابل من أساء إليه بالمثل ، وأن يعفو عند المقدرة ، لقوله تبارك وتعالى فى سورة فصلت :

﴿ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىّ حميم . وما يُلَقّاها إلا الذين صبروا وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾(١)

وقد امتدح رب العالمين المؤمنين فى سورة الرعد بقوله :

الذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق . والذين يَصِلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب .

---

(١) سورة فصلت ، الآيات ٣٤ ـ ٣٥ .

والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار . جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب . سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار﴾[1]

إن هذه الصفات الإيمانية التى يعددها رب العالمين يجعل من بينها درء السيئة بالحسنة ، التى هى صفة إيمانية يلتزم بها المؤمن فى تعامله مع أخيه بشكل خاص ، ومع الآخرين .. لأنه يعاملهم بما يمليه خُلُقُهُ المسلم وصفاته الإيمانية .

وان حسن المؤاخاة بين المسلمين والتخلق بالأخلاق الإسلامية السامية تحول دونهم ودون أن يقعوا فى آفات النفس التى تعترى الإنسان فى حالات الضعف أو الإثارة مثل الغضب والحقد والحسد ،

وإذا ما وقع أحدهم فيها لم يستمر عليها ، وإنما يحرص على التخلص مما اعتراه بالعودة الصادقة الى التمسك والتخلق بالأخلاق التى تساعده على تجنب الوقوع أو الاستمرار فى هذه الآفات . وهذا ما سأتناوله فيما يلى .

---

(١) سورة الرعد ، الآيات ٢٠ ــ ٢٢ .

الفرع الأول
تجنب الغضب

إن الغضب آفة من آفات النفس تعترى الإنسان عندما يشعر بأنه أُهين أو أُسئ إليه ، أو لم يستمع تابعُهُ الى أوامره ، أو ضاع عليه شئ مما كان يرتجيه بسبب تصرفٍ أحمق صدر من غيره .. وما إلى ذلك من الأسباب التى تُثير غضب الإنسان فتجعله يخرج عن طوره وينفعل ويتصرف بما لا يتوافق مع طبيعته عندما يكون متبصرا بأمره مدركا لما يصدر عنه ..

أى أن الغضب يبعد الانسان عن التعقل والاتزان فيما إذا لم يضبط نفسه ويملكها عندما يُواجَهُ بالإثارة .

وعن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه أن رجلا جاء الى رسول الله ﷺ وقال له :

قل لى قولا ينفعنى وأَقْلِلْ عَلَىَّ لَعَلىّ أعيه ، فقال رسول الله ﷺ :

« **لا تغضب** . ثم أعاد عليه ، **فقال : لا تغضب** »[1]

وفى لفظ آخر «**اجتنب الغضب**» ، وكرر عليه ذلك[2]

ويروى فى حديث آخر أن رجلا قال : يارسول الله أوصنى . قال : « **لاتغضب** » ، قال الرجل : ففكّرت حين قال النبى ﷺ

---

(١) رواه البخارى .
(٢) رواه أحمد .

ما قال ، فإذا الغضب يجمع الشر كله[1] .

بمعنى أن انفعال الإنسان فى حالة الإثارة يجعله يفقد توازنه الإرادى ويتصرف بما يضر نفسه ، ويسئ إليها وإلى الآخرين ، لو أنه فكر فيما سيصدر عنه فى لحظة غضبه وملك نفسه فى تلك اللحظة لَمَا ندم على ذلك ، ولكان له من هدوء أعصابه ما يعود عليه بالعاقبة المحمودة ، ولذلك فقد أوصى الرسول ﷺ الرجل بقوله « **لا تغضب** » .

وإن هذا التوجيه الكريم بتجنب الغضب ، لم يُبقِهِ الرسول ﷺ سلبيا ، وإنما أضاف إليه من التوجيهات ما يتحقق معها تخفيف ثورة الغضب والتمكن من ضبط النفس ، وترك المجال للإنسان فى أن يعود الى التفكير بهدوء فيما يجب عليه اتخاذه من تصرف أو قول .

١ ـ عن معاذ رضى الله عنه قال : استبّ رجلان عند النبى ﷺ ، فغضب أحدهما حتى ليتخيل الىّ أن أنفه ليتمزّع من الغضب[2] ، فقال رسول الله ﷺ :

« **إنّى لأعلم كلمةً لو يقولها هذا الغضبان لذهب عنه الغضب ، اللهم إنّى أعوذ بك من الشيطان الرجيم** »[3]

وإن التعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، يساعد على العودة الى تركيز التفكير ، لأَنَّ الاستعاذة بالله بأن يُبعد عنك إغواء الشيطان ،

---

(١) رواه أحمد .

(٢) وفى لفظ (لَيَتَرَمَّعُ) أى يرعد من الغضب ، وجاء فى الصالح (رَمَعَ أَنْفُهُ من الغضب أى تحرك) .

(٣) رواه أحمد وبمعناه رواه البخارى .

هو أن لا تتصرف تصرف المستشيط من الغضب ، دون وَعْى أو رَشَدْ .

٢ ـ ويقول عليه الصلاة والسلام « **إن الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خُلق من النار ، وإنما تُطفأ النارُ بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ** »[١]

وإن هذا التوجيه السديد يفيد أن الحرارة التى تشتد فى الإنسان الغضبان يُطفئها الماء ، فيرد غضبه ، وان فى التوقف عن الإجابة والتوجه الى الوضوء ، فرصة يلتقط فيها الإنسان أنفاسه ، ويملك فيها نفسه ، ويعود إليه عقله ، ويكون قد أطاع الله فى مسارعته الى الوضوء ، وأبعد عن نفسه الشيطان ، وبذلك تخف عنه استشاطة الغضب ، ويكون ممّن عناهم الرسول ﷺ بقوله :

« **ليس الشديد بالصرعة ، إنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب** »[٢]

٣ ـ وقد قال عليه الصلاة والسلام :

« **إذا غضب أحدكم فليسكت** »[٣]

وفى السكوت تتمكن الإرادة من التقوّى على العاطفة التى أثارها الآخر فلا يندفع الى القول قبل التروى والتفكر فيما يجب عمله .

٤ ـ وقد حذّر رب العالمين من الغضب عندما أورد صفات

---

(١) رواه الإمام أحمد .
(٢) رواه الإمام البخارى .
(٣) رواه الإمام أحمد .

المؤمنين بأنهم أولئك ﴿**والذين يجتنبون كبائر الإثم والفواحش وإذا ما غضبوا هم يغفرون**﴾ [1] . وإن الذى لم يتصف بهذه الصفة الإيمانية عند الغضب ، فهو بعيد لمن التخلق بأخلاق الإسلام .

كما يصف رب العالمين المتقين بقوله :

﴿**وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أُعِدَّتْ للمتقين . الذين ينفقون فى السرآء والضرآء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين**﴾ [2]

هذه بعض التوجيهات الإسلامية التى تجعل من يتمسك بها طاهر النفس ، نقىّ القلب ، لا يحمل غِلاً ولا حِقداً على أخيه المسلم ، توفيقاً مع قوله تبارك وتعالى :

﴿**والذين جآءوا من بعدهم يقولون ربنا اغفر لنا ولإخواننا الذين سبقونا بالإيمان ولا تجعل فى قلوبنا غِلاً للذين آمنوا ربنآ إنك رؤوف رحيم**﴾ [3]

٥ ـ ويروى عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه أن رجلا قال له : والله ما تقضى بالعدل ولا تعطى الجزل ، فغضب عمر حتى عرف فى وجهه ، فقال له رجل : يا أمير المؤمنين ألا تسمع أن الله تعالى يقول :

﴿**خذ العفو وأْمرُ بالعرف وأعرِض عن الجاهلين**﴾ [4] فهذا من

---

(١) سورة الشورى ، الآية ٣٧ .
(٢) سورة آل عمران ، الآيتان ١٣٣ و ١٣٤ .
(٣) سورة الحشر ، الآية ١٠ .
(٤) سورة الأعراف ، الآية ١٩٩ .

الجاهلين ، فقال عمر : صدقت . فكأنما كانت نارا فأطفئت ، لأنه رضى الله عنه كان وقافا عند كتاب الله ، شأنه شأن المؤمن الذى لا يتردد مطلقا عندما يتبين له وجه الحق أن يتبعه ، ولو كان على حساب نفسه .

وينسب لمحمد بن كعب أنه قال :

ثلاث منكُنْ فيه استكمل الإيمان

- إذا رضى لم يدخله رضاه فى الباطل .
- وإذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق .
- وإذا قدر لم يتناول ما ليس له .

٦ ـ ويقول سبحانه **﴿وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا ، وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما﴾** [(١)]

إن هذا الوصف من الله سبحانه توجيه أيضا لعباده ليتخلَّوا به ، وإذا ما تحلوا به تَخَلّوْا عن غيره ، فهم غير متكبرين ولا متجبرين ، ويسيرون على الأرض بسكون ووقار ، وإذا ما خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما ، أى أنهم لا يقابلونهم بالمثل ، وإنما يعفون ويصفحون ولا يقولون إلا خيرا كما كان رسول الله ﷺ لا تزيده شدة الجاهل عليه إلا حلما ، وكما قال الله تبارك وتعالى **﴿وإذا مروا باللغو مروا كراما﴾** [(٢)] وفى قوله أيضا **﴿وإذا سمعوا اللغوا أعرضوا عنه﴾** [(٣)] .

إن معاملة الأخ المسلم لأخيه بمثل هذه الأخلاق الإسلامية هى

(١) سورة الفرقان ، الآية ٦٣ .
(٢) سورة الفرقان ، الآية ٧٢ .
(٣) سورة القصص ، الآية ٥٥ .

التى تكون سببا لزيادة المحبة وتمتين أواصرها ، وتكون سببا فى تطهير النفس من أدرانها ، وإبعادها عما يشنيها ، وإن هذه التوجيهات ـ كما سبق وذكرنا ـ ليست قاصرة فى التعامل على المسلمين ـ وإنما هى أخلاق المسلم فى جميع تصرفاته وأقواله مع جميع الناس ، لأنه يتحلى بأخلاق واحدة ليس فيها تذبذب ولا نفاق .

الفرع الثانى
نبذ الحقد والحسد

إن أثر الغضب فى النفس الانسانية قد يسوقها إلى الحقد والحسد ، أى إلى مواطن العطب ، فيعيش فى نفسه حاقداً على مجتمعه ناقماً على غيره ، لأنهم لم ينصروه فى غضبه ، ولم يقفوا الى جانبه ، ولم يقدّروا انفعالاته ..

والحسد من المهلكات لقول النبى ﷺ :

« **الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب** »[1]

والحسد هو تمنى زوال النعمة عن غيرك ، فتُسَر بزوال النعمة عنه ، كما تُسر بمصيبةٍ إن نزلت به ، وقد قيل إن عينّى الحاسد فى جنة ، لما يراه من نعمة على غيره ، وإن قلبه فى نار ، لأن قلبه يتحرق على زوال نعمة أنعمها الله على غيره .

وقد أنزل الله سبحانه وتعالى سورة ذكر فيها التعوذ من

(١) رواه أبو داود وابن ماجة .

الحسد[1] ، وذكر صفات المنافقين وجعل من أبرزها الحسد[2] ، وكذلك ذكر سبحانه الحسد وصفا لحال اليهود فى أكثر من موضع ، منها حسدهم لطالوت ، ومنها حسدهم للرسول ﷺ [3] .

وقد حذرنا ﷺ من الحسد فقال :

« **دبّ إليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء ، والبغضاء هى الحالقة ، لا أقول حالقة الشعر ولكن حالقة الدين ، والذى نفس محمد بيده لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ، ولن تؤمنوا حتى تحابوا ، ألا أنبئكم بما يُثَبِّتُ ذلك ، أفشوا السلام بينكم** »[4]

والحسود لا يسود ، ولا يبلغ المقصود ، وقد قيل : « لله در الحسد ما أعدله بدأ بصاحبه فقتله » . وقال حكيم « الحسد جرح لا يبرأ ، وحسب الحسود ما يلقى . وقال أعرابى « ما رأيت ظالما أشبه بمظلوم من حاسد ، إنه يرى النعمة عليك نقمة عليه ، لأن غمّ الحاسد لا ينقطع وقلبه لا يستريح ، ونفسه لا تطمئن ، وثائرته

---

(١) فى قوله تعالى : ﴿**ومن شرّ حاسدٍ إذا حسد**﴾سورة الفلق .
(٢) فى قوله تعالى : ﴿**ان تصبك حسنة تسؤهم وأن تصبك مصيبة يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل ويتولوا وهم فرحون**﴾ سورة التوبة ، الآية ٥٠ .
(٣) فى قوله تعالى : ﴿**انّىٰ يكون له الملك علينا ونحن أحق بالملك منه ولم يؤت سعة من المال**﴾ سورة البقرة ، الآية ٢٤٧ . وفى قوله تعالى : ﴿**وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شىء**﴾ سورة الأنعام ، الآية ٩١ . وفى قوله تعالى : ﴿**ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتى الله بأمره إن الله على كل شىء قدير**﴾ سورة البقرة ، الآية ١٠٩ .
(٤) رواه الإمام الترمذى .

لا تسكن ، ولا تراه إلا كئيبا حزينا معارضا لقضاء الله وقدره ، لو استطاع الخير لم يعمل كثيرا ، ولم يفكر باللحوق بمحسوده ، ولو قدر على الشر لَسَلَبَ النعمة من أخيه ..

وعن أنس بن مالك رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال :

« **لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام** »(١)

وإن التخلص من هذه الآفة أن يعلم صاحبها أنه بحسده لغيره قد يتجاوز حدود الغبطة ، الى حدودٍ قد توصله والعياذ بالله الى الاعتراض على تصرف الله سبحانه فى عباده ، فينقم على من خصه الله بفضله ، ولو أنه إذا ما رأى شيئا أعجبه وتمنّى أن يكون له مثله ، أن يسارع الى القول « ما شاء الله لا قوة إلا بالله » وأن يتذكّر فورا من هو دونه فى النعم ، من حيث الخَلْق ، والرزق والمكانة .. وغير ذلك من الأمور التى إذا ما تذكرها ، يخشى أن يكون هو المحسود لا الحقد أو الحسد ، أن يتعوذ بالله من الشيطان الرجيم ، وأن يتذكر كثرة نعم الله عليه فيما إذا قاسها بالمحرومين منها ، ، وهنا تبرد شِرّةُ نفسه وتهدأ ثائرته ، وتنقلب حاله الى الغبطة والفرح بما أصاب أخيه من فضل الله سبحانه ، وأنه غير محروم من فضل الله أيضا .. وهذه الأمور رياضة نفسية ، فعلى من يشعر بنفسه ، أنه ينفعل برؤية الخير لدى غيره أن يضبط نفسه بسرعة ويسارع الى قول كلمة « ماشاء الله لا قوة إلا بالله » ويعدد فضل الله عليه ، وهو بهذه

---

(١) متفق عليه .

الحالة يستطيع أن يتخلص من هذه الآفة السيئة ، وما يُلَقّاها إلاّ ذو حظ عظيم .

وان العودة الى قوله ﷺ :

« **لا تباغضوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله إخوانا** .. » الى آخر هذا الحديث تؤكد لنا أن الامتناع عن التخلق بهذه الأمور ممكن ، وإنه لو لم يكن ذلك ممكنا لما أمرنا رسول الله ﷺ بالابتعاد عن هذه الأمور غير المستحسنة فى خلق المسلم ، ويذكرنا ﷺ بأن نكون عباد الله إخوانا ،

وان هاتين الكلمتين « عباد الله ، إخوانا » هما مفتاح السر فى كيفية التخلص من هذه الآفات ، أى أن نتذكر ان الله سبحانه هو المتصرف بعباده ، وانه ماكان من عند الله فلا مجال للاعتراض ، لأن الله سبحانه فعال لما يريد ، وإما ما كان من عند الإنسان ذاته ، فهو القادر على تغييره وتعديله الى ما هو أحسن وأفضل ، أى أن يكون التنافس والتسابق فى ميادين الخير ، وما أكثرها فى حياتنا الدنيا ، وأن لا نحسد أحدا على ما آتاه الله من فضله ، وأن نعود الى أنفسنا فى فتح مجالات التسابق الى الخيرات والعمل الصالح ، وهذا كله بإمكان الإنسان فيما إذا عزم على ذلك ، وقصد إليه فعلا ..

وأن نتذكر أيضا نعمة الله علينا إذ جعلنا إخوانا فى الدين ، أى أن نحب لأخينا فى الدين ما نحبه لأنفسنا ، وأن نتيقّن من أن النفع الذى أصاب أحداً من إخواتنا فى الدين فهو فى حقيقته سيعود إلينا ، لأن الله سبحانه عندما يخص أحدنا بفضلٍ منه ، فإن الخُلُقَ الإسلامى فى أحدنا لا يجعلنا نستأثر بهذا الخير دون غيرنا ، وبذلك

يعم الخير الجميع ، وهذا ما يتجلى فى مفهوم الإيثار الذى سبق وتحدثنا عنه ، وإنه من أولى المقاصد لتمتين أواصر الأُخُوَّةِ بين المسلمين .

وهكذا إذا تذكر أحدنا أنه أخ لغيره فى الدين ، وأن من حق أُخُوَّته أن يحب لأخيه الخير ، ابتعدت عنه شِرَّة نفسه أو خفّت حِدتها ، لأن الإنسان لا يحسد أخاه ، إلا فى الحالات النادرة ..

الفرع الثالث
القنــــاعــة

القناعة ، بالفتح ، الرضا بالقسم . وقد قَنِعَ بالكسر ، يقنع قناعة ، فهو قنع وقنوع[1] .

إن مفهوم القناعة قد أساء تطبيقه كثير ممن أخذوه بمعنى الانصراف عن الأخذ بالأسباب ، وظنوا أنهم بذلك قانعون بما قسم الله لهم ، وهم قعود فى بيوتهم .. وهذا ما يؤكده بعض المسلمين الذين يميلون إلى الأخذ بالتواكل لا بالتوكل الصادق .

وقد جاء فى تعريف القناعة أنها الرضا بالقسم ، وهل يعنى هذا أن يتوقف الانسان عن الأخذ بالأسباب ليكون قنوعا ، ؟ إن هذا الفهم لم يرد له أصل فى التشريع الإسلامى ، وبخاصة إذا أخذنا تصرفات الرسول ﷺ وأصحابه كأمثلة للتعرف على مدلول القناعة .

---

(١) من كتاب الصحاح للجوهرى .

إن الرضا بالقسم لا يكون إلا بعد السعى وهذا ما أرشدنا إليه رب العالمين بقوله **﴿وأن ليس للإنسان إلا ما سعى . وإن سعيه سَوْفَ يُرى ، ثم يُجزاه الجزاء الأوفى﴾**(١)

وفى قوله تعالى **﴿فإذا قُضِيَتِ الصلاةُ فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل الله﴾**(٢)

وفى قوله تعالى **﴿هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فأمشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور﴾**(٣)

هذه التوجيهات الكريمة تفيد وجوب السعى والابتغاء من فضل الله ، وإن القعود عن السعى عجز ، وإن اليد العليا خير من اليد السفلى ، وإن تحقيق أوامر الله سبحانه بالانفاق مما أفاء الله على عباده لا يكون إلا بالسعى والكسب ، ولا يتحقق ذلك إلا ممن عرف أن القناعة لا تكون إلا بعد الأخذ بالأسباب ، وإن ما تَوَّصَلَ إليه بعد سعيه هو المقسوم له ، فإذا لم يقنع بذلك فهو الذى يضر بنفسه وبغيره .. ومن عدم القناعة بعد السعى يتولد الحقد والحسد اللذان ينشأن عن تمنى ما لم يُقسم للانسان .

وإذا أخذنا المثل القائل « إن القناعة كنز لا يفنى » فإننا نجد فيه التأكيد على أن من يقنع بما قسمالله ، بعد الأخذ بالأسباب ، كان له ذلك كنزا ، لأنه يعمد الى استثمار ما حصل عليه دون انقطاع عن السعى .. أما إرهاق النفس وراء تجميع المال ، لمجرد جمعه دون

---

(١) سورة النجم ، الآيات ٣٩ ـ ٤١ .
(٢) سورة الجمعة ، الآية ١٠ .
(٤) سورة الملك ، الآية ١٥ .

استعماله فيما أمر الله ، فهو الجشع ، وهو الكنز المنهى عنه ، لأن المال وسيلة لتحقيق مبتغى الإنسان فى توفير ما هو ـ وأَهلُهُ ـ فى حاجة إليه ، فإذا مازاد عليه ، وجب عليه أن لا يكنزه ويحجبه عن التداول ، لأن حجبه يكون سببا فى حرمان الناس من هذا المال الذى لم يوجد للكنز وإنما وجد للإنفاق فيما أرانا الله .

وأن المتكالب على جمع المال دون استعماله فيما أمر الله فهو الذى لا يقنع ، وهو الذى يحرم نفسه من ثمرة جهده ، لأنه يكون فى الحقيقة جامعا للمال لم سيؤول إليه بعد موته ، توفيقا مع قوله ﷺ

« **ايّكم ماله أحب إليه من مال وارثه ؟**

قالوا : يا رسول الله ، ما منّا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه .

قال : **اعملوا ما تقولون** ، قالوا : مانعلم إلا ذلك يا رسول الله .

قال : **ما منكم رجل إلا مال وارثه أحب إليه من ماله .**

قالوا : كيف يا رسول الله ؟

قال : **إنما مال أَحدِكُم ما قَدَّمَ ، ومال وارثه ما أَخَّرَ** »[1]

فمن يجمع المال ولا يقدمه بين يديه/فى مرضاة الله/فإنه يجمعه لغيره ولا يكون له من هذا الجمع إلا الإثم ، فَيَبُوءُ هو به ، ويتنعم الوارث بما خلفه له مورثه .

---

(١) رواه الإمام البغوى فى شرح السنة رقم ٤٠٥٧ وورد فى البخارى بلفظ «أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله ؟» قالوا : «يا رسول الله ما منا أحد إلا ماله أحب إليه» قال : «فان ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر» .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ :

« **ليس الغِنى عن كثرة العرض ، ولكن الغِنى غِنى النفس** »[1]

والعَرَضُ بفتح الراء ، متاع الدنيا وحطامها وجمعه أعراض ، والعَرْضُ بتسكين الراء واحد العروض ، وهى الأمتعة التى يتجر فيها .

والمقصود من قوله ﷺ إن الغنى ليس باستكثار الأموال وتجميعها ، كما سبق ذكره ، وإنما المغنى هو غنى النفس ، بمعنى أن النفس فيما إذا قنعت بما قسم لها الله ، ولم تستكثر من الجمع ، هذا الجمع الذى يلهيها عن كثير من الواجبات التى لو أداها فى حينها ، لما ضاع عليه شىء من كسبه ، لأن الجُهد الذى يبذله فى كسب المال يعود عليه بالنفع فيما إذا استفاد حقا من هذا المال ، ويعود عليه بالخسران فيما إذا كنزه ولم يقنع حَصَّلَهُ وإنما يطلب منه المزيد .. هذا هو مفهوم الغنى بكثرة العرض ، أى بكثرة المال المتجمع والمكنوز . أما غنى النفس ، فإنه المغنى عما فى أيدى الآخرين والرضا بما قسم الله بعد الأخذ بالأسباب ، لأن فقير النفس يحرص على الاستكثار من المال عن أى طريق ، ولو أَذَلَّ نفسه للناس ، أما غَنِيُّ النفس فإنه يصونها عما يدنسها ، ويجعل سعيه وحده ـ بعد التوكل على الله فى هذا السعى ـ هو الغِنى الذى يغنيه عن غيره .

وقد ورد عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله ﷺ قال :

« **قد أفلح من أسلم ، ورُزِق كُفافا ، وقَنَّعَهُ الله بما آتاه** » .

---

(١) متفق عليه .

والفلاح فى الإسلام أن يلتزم المسلم أوامر الله سبحانه ، ومن أوامره السعى . لأن السماء لا تمطر ذهباً ولا فضة ، فإذا لم يرزق بعد هذا السعى إلا الكفاف ، فهو كافيه ، وعليه القناعة به ، لأنه هذا الذى قسمه الله له ، وهذا هو المراد من قوله ﷺ : « **وقَنَّعَهُ الله بما آتاه** » أى بما قسم له بعد الأخذ بالأسباب .

وإذا رجعنا الى ما ورد عن الغِنى فى القرآن الكريم فإننا نجده من النِعم التى أنعم الله بها على رسوله المصطفى فى قوله تعالى ﴿**ووجدك عائلا فأغنى**﴾ [1]

وكذلك منّ به على بنى إسرائيل فى قوله تعالى ﴿**وأمددناكم بأموال وبنين**﴾ [2]

وجعل رب العالمين الاستغفار سببا للغِنى فقال تعالى ﴿**فقلت استغفروا ربكم إنه كان غفّارا . يرسل السمآء عليكم مدرارا . ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهارا**﴾ [3] .

وقد سمى رب العالمين المال فى أكثر من آية (خَيْراً) وذلك فى قوله ﴿**وإنه لحب الخير لشديد**﴾ [4] وفى قوله تعالى ﴿**إن ترك خيرا**﴾ [5] ..

وهذا القول من الله سبحانه وتعالى لا يمكن أَنْ يُؤَخذ على خلاف مراده ، وهو أن الغِنى نِعمة من الله منّ به على رسوله وعلى

---

(١) سورة الضحى . الآية ٨ .
(٢) سورة الإسراء . الآية ٦ .
(٣) سورة نوح . الآيات ١٠ ـ ١٢ .
(٤) سورة العاديات . الآية ٨ .
(٥) سورة البقرة . الآية ١٨٠ .

غيره من عباده ، وإن المال هو خير فيما إذا جُمع من حلال ، ووضع فى حق .. ولهذا يكون التزهيد فى ابتغاء فضل الله لا يتفق وتوجيه الله سبحانه الى الكسب ، والى ابتغاء فضله .. وكان التوجيه يتغير لو أن القناعة تعنى الاقتصار على ما يصل الى الإنسان من غير جهد ولا سعى ..

وإذا تتبعنا الآيات والأحاديث التى تعطى الفضل لمن يسعى على اليتيم والفقير والمسكين ، ويبذل ماله ابتغاء مرضاة الله لخرجنا بموضوعنا عن هدفه ، لأن اليد العليا فى الإسلام خير من اليد السفلى ، واليد العليا هى المنفقة واليد السفلى هى الآخذة ..

فالقناعة ليست القعودَ عن السعى ، وإنما هى الرضا بما قسم الله بعد السعى لكى لا يقع الإنسان فى دوّامة الطمع والحرص على الاكتساب من أى طريق دون الاقتصار على ما قسم الله من طريق حلال .

وإذا تساءلنا عن وضعه ﷺ فى حياته بعد النبوة ، وهل كان يتقاعس فى تبليغ دعوة ربه ؟ نجد أن النتائج التى توصل إليها بفضل الله سبحانه تؤكد لنا أنه ماكان يترك مناسبة أو فرصة تمر به إلا واستفاد منها فى تبليغ رسالة الله الى عباده ، وأن ما حققه فى هذه السنوات المعدودات لكافٍ فى بيان لم يكن يجد وقتا لغير ذلك ، فهو المكلف من الله فى تبليغ الرسالة ، بعد أن تكفل الله له بأجره ﴿**وإنْ أجْرِىَ إلاَّ عَلَى اللهِ**﴾ وقد استفاد ﷺ فى تبليغ دعوة ربه ، من أموال زوجته كما استفاد من أموال أبى بكر وغيره من الصحابة بما أفصح عنه فى كثير من أحاديثه ، ولو ان هؤلاء لم

يكونوا فى غنى وثروة لما تمكنوا من تقديم أموالهم ورصدها فى سبيل الله ، وهل كان من القناعة أن يكتفى المؤمنون بما حصلوا عليه من مال ولا ينفقونه فى سبيل الله ، وهل ننسى أن الرسول ﷺ كان يلح على أصحابه بالإنفاق فى سبيل الله ولو كان ذلك بشق تمرة ، وكان منهم من يذهب فيؤاجر نفسه ليحصل على ما يقدمه فى سبيل الله . ولو أن القناعة كانت بمفهوم الاقتصار على ما تيسر دون السعى والكسب ، لما تحقق مراد الله من حض المسلمين على الانفاق من أموالهم ، ولما كانت للمسلمين اليد العليا على غيرهم فى كثير من المواقف .

وإذا عدنا الى آيات الانفاق فى القرآن العظيم وجدناها عديدة جدا وجميعها تحض على الانفاق (فى السراء والضراء) وفى سبيل الله و (سرا وعلانية) وابتغاء وجه الله ..

وهناك من يرغبون بالانفاق ولكنهم لا يجدون ما ينفقون[1] ، هؤلاء جميعهم هل ينطبق عليهم مفهوم القناعة دون سعى ؟ وكيف يتحقق لهم الرزق دون سعى منهم ؟

إن القناعة لا تخرج عن كونها رضا بما قسم الله ــ بعد السعى كما سبق ذكره ــ وان زهد الرسول ﷺ لم يكن فى العزوف عما أحل الله ، وكذلك زهد أصحابه الكرام ، ولكنه إيثار لغيرهم وخوفا من أن يكونوا فى وضع لم يصل إليه بعض من رعاياهم ، ولذلك وجدنا حرص الرسول ﷺ فى أن يُعْطَوْا حتى يَغْنَوْا ، ويكتفون هم

(١) لقوله تعالى : ﴿**ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم قلت لا أجد ما أحملكم عليه تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزناً الا يجدوا ما ينفقون**﴾ سورة التوبة ، الآية ٩٢ .

بما يقيم صلبهم وبما يستر عورتهم ، لا حبا بالفقر أو انتصارا له ، لأن الذى يتعوذ من الفقر لا يحرص عليه ، وإنما توسيعا على غيرهم لكى لا يكونوا متنعمين وغيرهم يقاسون مرارة العيش ، وَلْنَعِدْ الى الذاكرة موقف عمر رضى الله عنه ـ عام الرمادة ـ فإنه كاد يُتْلِفُ نفسه من التقشف ، لولا أن تدارك الله عباده برحمته ، وكان يقول « كيف يعنينى شأن الرعية إذا لم يصبنى ما أصابهم » .

وعن حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها أنها قالت يوما لعمر رضى الله عنه :

ألا تلبس ثوبا أَلْيَنَ مِن ثوبك ، وتأكل طعاما أطيب من طعامك هذا ؟ فقد فتح الله عليك بالأرض ، وأَوْسَعَ عليك بالرزق .

قال « سأخصمك الى نفسك ، فذكر أمر رسول الله ﷺ وما كان يلاقى من شدة العيش ، ولم يزل حتى بكت ، فقال عمر :

لأشركنّهما فى مثل عيشهما الشديد ، لعلى أُدرك معهما مثل عيشهما الرخّى »[1]

(ويقصد بقوله ﷺ وأبا بكر رضى الله عنه)

فهل كان مفهوم صاحبيه كما يريد تصويره بعض الناس ، من حرمان النفس مع التوقف عن السعى وذلك بقولهم « إنه سوء ظن بالله ان لا يقنع الإنسان بما يرزقه الله دون سعى » .

ومن مفهوم القناعة أن ترضى بما قسم الله لك ، وان لا تمدّ

(١) كتاب الزهد والرقائق لعبد الله بن المبارك رقم الحديث ٥٧٤ .

عينيك الى غيرك ، لأن الرزاق هو الله وهو الذى قسم الرزق بين عباده ، ولذلك ورد الأمر بأن ينظر الإنسان الى من دونه فى الرزق ، ليقدر نعمة الله عليه ، وأن ينظر الى من فوقه فى الدين ليرتفع الى مستواه فيه .

وإن السعى فى تحسين الحال والانفاق على العيال أمر مطلوب ولذلك وجدنا أبا بكر بعد توليه الخلافة أخذ ثوبه ونزل الى السوق ليكتسب لعياله ، فلما شاهده المسلمون لم يرضوا منه ذلك فقال لهم من أين أطعم عيالى ، ففرضوا له من بيت المال ما يكفيه مؤونتهم ، ولو كان على رأى من يقول بوجوب التوكل ، أى تَرْكَ الأخذ بالأسباب لما فعل أبو بكر ذلك ، ولكن الحقيقة فى التوكل أن تعقل وتتوكل كما قال عليه الصلاة والسلام « **اعقلها وتوكل** »[1] .

ثالثاً ـ حسن التعامل

إن حسن التعامل لا يتحقق إلا ممن تخلق بالأخلاق الحميدة التى حضّ عليها الإسلام ، لأن من يفتقر الى مثل هذه الأخلاق لا يحسن معاملة غيره ، وبذلك يكون حسن التعامل مستعدا من حسن الخلق الذى هو أكبر وسام يحمله الانسان فى حياته الدنيا وفى الآخرة ، لقوله ﷺ :

« **أثقل ما يوضع فى الميزان حسن الخلق** » .

---

(١) أخرجه ابن حبان فى صحيحه .

وقد سئل رسول الله ﷺ عن أكثر ما يدخل الناس الجنة ؟ قال « **تقوى الله وحسن الخلق** » .

وقد عرفنا فيما سبق أن تقوى الله هو الأخذ بما أمر الله وتجنب ما نهى الله عنه ، فإذا تجنب الإنسان ما نهى الله عنه ، وأضاف الى ذلك حسن الخلق ، فهو فى الحقيقة ممن ثقلت موازينه يوم القيامه .

وإن آثار التقوى فى التعامل غير خافية على أحد ، فهى تجنب كل ما لا يتفق مع الخلق الإسلامى الأصيل ، فلا إيذاء ولا كذب ، ولا غش ولا خديعة ، ولا أكل أموال الناس بالباطل .. إلى آخر هذه الأمور التى لا تصح فى التعامل .

وإن حسن الخلق هو أن لا تغضب وأن لا تحقد ، وأن تحتمل ما يكون من الناس ، مادام لا يَمَسُّ أمراً يتصل بالعقيدة ، وأن تبسط الوجه لمن يتصل بك ، وأن تبذل المعروف وأن تكف عن الأذى ، وأن يسلم الناس من لسانك ويدك ، وأن لا تخن من خانك ، وأن تحسن الى من أساء إليك ، بمعنى أن تدرأ السيئة بالحسنة .. أى أن تجعل من نفسك المثل الصادق لما يجب أن يكون عليه المسلم .

وهذا جميعه يدخل فى شمول التقوى وحسن الخلق .. وهذا ما يريده الإسلام من اتباعه فى التعامل مع أنفسهم ومع الآخرين ..

وإن حسن التعامل مع الآخرين يبتدئ بالمخاطبة وبالمعاملة وينتهى بتقوية روابط المجتمع .

الفرع الأول
فى الخطـاب والكلام

إن من أدب الخطاب أن تبدأ من تعامله بالسلام ، وأنت باش فى وجهه طلق المحيا ، وأن لا تواجهه بما يكره ، وأن تصدقه فى القول ، وأن لا تحوجه الى استعمال القسم لتصديقه ، وأن لا تماكسه ، وإنما أن تخبره بأنك تريد منه أن يعاملك بصدق لأنك تثق به .. وهكذا توجد عنده الاطمئنان بأنك تقبل نصيحته فيما يعرضه عليك ، وهذه الطمأنينة تدفع به الى أن يعطيك بأقل ثمن تقاضاه من غيرك ، وهذا ما سيتضح معنا فى الفقرة التالية عندما نتعرض الى حسن التعامل فى البيع والشراء ، ولكننى أريد أن أتناول أدب الخطاب والكلام مع الأخ المسلم الذى يتصل بك اتصال أخوّة وصداقة .

إن صلة الأخ بأخيه المسلم تبتدئ بالكلام الذى هو مفتاح العلاقة بينهما ، ولذلك فإن المستحسن لك أن تبدأ أخاك بالسلام وأنت باش فى وجهه ، يرى عليك مظاهر التلهف لرؤيته ، وإذا كنت تعرفه من قبل ، أن تدعوه بأحب أسمائه إليه ، أو أن تتعرف على اسمه واسم أبيه وتتوثق من حاله ، لأن الأُخُوَّةَ فى الإسلام تتطلب التعارف بين الإخوة ، لتمتين الصلة فيما بينهم ، وإذا ما جاءك زائراً أن تكرم وفادته ، أو أن توسع له فى المجلس ، فيما إذا دخل على مجلس أنت فيه ، وأن لا ترفع صوتك عليه ، وأن تُصْغِ إليه فيما إذا تحدث إليك ..

وأن تُحْضِرَ فى نفسك محاسن أخيك ، لتكون أكثر توقيرا له ومودة ، وأن تتجنب الإفصاح عما تعرف من مساويه ، وأن تتجاهلها ، وإيّاك أن تجعل شيئا منها هدفا فى مزاحك معه ، لأن ذلك يؤذيه فى نفسه ، وإن أظهر لك أنه يتقبل مداعبتك بصدر رحب ، وعليك أن تتصرف معه كما لو إنك كنت فى مكانه ، فهل تحب أن يتناول أحدٌ عيباً فيك فيتخذ منه هدفا للسخرية أو للهزء بك ولو على سبيل المزاح ؟

كما أنه من المطلوب منك أن لا تسمح لأحد أن يُسيءُ الى أخيك فى الدين وأنت تسمع له دون اعتراض ، لأنك تكون مساوياً فى المسؤولية ، لأن نصرة أخيك فى الغيب كنصرته وهو شاهد ، وإن من يتناول أحداً أمامك ـ بما فيه ، أو بما ليس فيه ـ لا يتورع عن أن يتناولك أيضا ، فتقع معه فى الغيبة أو فى البهتان ، وكلاهما منهى عنه .

وإياك أن تحاول نصح أخيك على ملأ من الناس ، لأن فى ذلك تهوينا لشأنه ، وكشفا لضعفه ، وعليك أن تنصحه فيما بينك وبينه ، لأن النصح العلنى فضيحة .. وإن العتاب فى السوء خير من القطيعة ، وإن التعريض به خير من التصريح .. وأن يكون قصدُك من أخيك اصلاحَ نفسك بمراعاتك إياه وقيامك بحقه واحتمالك تقصيره .. لا الرغبة فى الاستعانة به دون أن تكون أنت عونا له . وأن تحسن الظن به ، وأن لا ترى فى نفسك فضلا عليه ...

وإن حسن المعاشرة وحسن الخطاب يجب أن لا يقتصر على معارف الإنسان المسلم ، وإنما يجب أن يَكون مع كل من يتعامل

معه ، لأنه يعكس بحسن تعامله ما يفرضه عليه دينه ، فإن أساء فى المعاملة تحمل مغبة هذه الإساءة وباء بعاقبتها ، وإن أحسن ـ كما هو مطلوب منه ـ كان له أجره وأجر من تأسّى به ، لا ينقص من أجورهم شيئا .

هذه هى بعض ما توجبه مقاصد الأخوة من أن يكون الإنسان المسلم فى تعامله مع اخوته فى الإسلام هو ما يتعامل مع غيرهم ليكون سببا فى تعريفهم بالأخلاق الإسلامية ومحببا لهم بدين الإسلام .

الفرع الثانى
صـــدق المعـــاملة

إن الأمور المادية لها سلطانها على النفوس ، لما لها من تماس بحياة الناس وتحقيق رفاهيتهم .. وقد يَضِنُّ بعضهم بما تجمّع لديه من أموال زائدة على حاجته من أن ينفقها ، خوفا من احتمال افتقاره إليها ، وبخاصة إذا كانت ظواهر الأحوال تشير إلى احتمال وجود كساد فى الأسواق أو قلة فى سيولة المال بين أيدى الناس .

وهذه الأمور قد لا تكون ذات سلطان كبير على من يأخذ بالأسباب ويتوكل على الله حق توكله ، ويوقن بأن رزقه لابد واصل إليه ، مادام أنه على قيد الحياة .. وأنه إن ضنّ بماله على أخيه المسلم ـ عند حاجة أخيه إلى شىء من المال ـ يكون مقصّرا فى حق أخيه . وأن هذا التقصير ليس من شيم المسلم الصادق الإيمان .

وكذلك إن أساء فى تعامله معه ــ أو فى تعامله مع غيره ــ غير أَنَّ الإساءة تكون أعظم فيما بين أصحاب العقيدة ، لافتراض أن حسن المعاملة هو الأصل بالنسبة للمسلم ، ولهذا فإن المسلم لا يفرط فى حق أخيه المسلم ، كما أن أخ الدم لا يتهاون فى أن يكون إلى جانب أخيه فيما ينفعه ويرد عنه ما يضره .

وإن المسلم فى تعامله مع أخيه المسلم يضع نصب عينيه أنه يعامله أخاً فى الله ، ومن كانت أخوّته فى الله ، فالله سبحانه رقيب عليه . وهل يُتصور ممّن يعتقد أن الله رقيب عليه أن يسئ فى معاملته لأخيه فى الله ؟

لذلك فإن تحققه من أنه يعامل أخاًّ له فى الله يجعله يتجنب كل ما يسئ إلى أخيه ، ويتحرى كل ما يعود بالنفع عليه ، ويحرص على أن ينصحه ويؤثره على نفسه ، إذا اقتضى الحال ، لأن « الدين النصيحة » ، كما قال عليه الصلاة والسلام[1] .

وقد ورد فى الأثر أيضا (أن الدين المعاملة) .

وهذا أمر مؤكد ، لأن التعامل يكشف عن هُوِيَّةِ الإنسان ومعتقده ، وهل هو ملتزم بأوامر دينه حقيقة ؟ أَم أنه يجعل الدين مسألة أخروية ، لا علاقة لها بأمور الدنيا وبخاصة التعامل المادى بين الناس .

وإذا طبقنا مفهوم الأخوّة الإيمانية بين المتعاملين من المسلمين ، فإننا سنجد حرص هؤلاء على أن يقدموا أحسن مالديهم ، وأن

---

(١) متفق عليه .

لا يكتموا عيبا ، أو يستغلوا طيشا ، أو ظرفا غير مُوات ، وإنما يُنْظَروا فى حالة العسر ، ويتصدقوا فيما إذا أيقنوا من ضيق يد من يتعاملون معه ، إلى آخر هذه الصفات التى يتحلى بها المؤمنون .

وإن أثر الإخاء فى التعامل المادى بين الناس يوجب العدل والإنصاف والتناصح ، ويحول دون الإضرار أو الكسب الحرام ، أو الغش أو الاحتكار ، فهو ضابط أخلاقى له وزن فى الأمور الاقتصادية وحسن التعايش مع الآخرين . وصدق رسول الله ﷺ ، وهو الصادق المصدوق ، بقوله : « **لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه** »[1]

فكيف يكون تعامل الإنسان مع نفسه ؟ ، إنه هو التعامل المطلوب أن يكون مع أخيه فى العقيدة ، ــ ومع الناس أجمعين ــ ، لأن المسلم المؤمن لا يتعامل فى الحقيقة مع الناس ، وإنما يتعامل مع الله الذى لا تخفى عليه خافية .. وإنه لا يُرائى فى تعامله ، وإنما يحرص على أن يحقق فى تعامله ما أمر به الرسول ﷺ بقوله :

« **عامل الناس بما تحب أن يعاملوك به** « **أو** » **أن يأتى الى الناس الذى يحب أن يؤتى إليه** »[2] وبذلك يكون التعامل المادى استناداً إلى هذا المبدأ الإيمانى مبدأ الأخوّة فى الله ، وكأنه يتمّ بين أخوين شقيقين ، وقد سبق القول « وهل يُتصور عادة أن يسئ الأخ معاملة أخيه ؟

وهكذا نجد أنّ من مقاصد الأخوة فى الإسلام أن يطمئن الناس

(١) رواه الإمام البخارى .

(٢) من حديث رواه الإمام مسلم .

فى تعاملهم مع الآخرين ، إلى أنهم فى أمن وأمانٍ واستقامة وحسنِ أداء .. لأن الإنسان لا يتصور منه أن يُقدم على خداع أخيه واستغلاله بما يُسئ إليه ، بل سيسارع فى تصرفه وسيبذل فى سبيله كل غالٍ ورخيص ..

وقد أثنى ﷺ على التجار الذين يتصفون بالصفات الكريمة من حيث التعامل مع الناس فقال عنهم :

« **إن أطيب الكسب كسب التجار**

ـ الذين إذا حدّثوا لم يكذبوا

ـ وإذا ائتمِنُوا لم يخونوا

ـ وإذا وعدوا لم يخلفوا

ـ وإذا اشتروا لم يذموا

ـ وإذا باعوا لم يطروا

ـ وإن كان عليهم لم يُمطلوا

ـ وإذا كان لهم لم يُعسروا[١] »

إن هذه الأخلاق تجعل المتعاملين مع هؤلاء التجار فى طمأنينة كاملة من أَنهم واثقون من صدق المعاملة ، ومن حسن البضاعة وجودتها ، ومن اتقان العمل ، ومن عدالة الثمن ، ومن أن الذى عندهم ليس فيه غش أو تدليس .. إن هؤلاء التجار هم الذين عناهم المصطفى صلوات عليه بقوله :

« **التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء**

---

(١) أخرجه البيهقى عن معاذ واسناده حسن .

والصالحين»[1]

كما أنه عليه الصلاة والسلام قال :

« **رحم الله عبداً ، سمحاً إذا باع ، سمحاً إذا اشترى ، سمحاً إذا قضى ، سمحاً إذا اقتضى** »[2]

وقد قال عليه الصلاة والسلام « **إن خيركم أحسنكم قضاء** »[3] فقد كان لرجل على النبى ﷺ سنٌّ من الإبل فجاء يتقاضاه ، فقال « **أعطوه . فطلبوا سِنَّهُ فلم يجدوا إلاّ سناً فوقها** . فقال « **أعطوه** ، فقال « **أَوْفَيْتَنى أوفاكَ الله** ، فقال النبى ﷺ الحديث . هذه هى الأخلاق الإسلامية فى التعامل مع الأخ فى الدين ومع الجميع .

الفرع الثالث
تقوية روابط المجتمع

إن من آثار مقاصد الأخُوَّةِ فى الإسلام أن تؤدى هذه الآثار الى تقوية الروابط بين أفراد المجتمع ، لأن المجتمع يتكون من الأفراد ، فإذا ما غلب عليهم الصلاح كان مجتمعهم صالحا ، وإن أى ضعف يستشرى فيهم تكون آثاره ونتائجه على المجتمع قاطبة ، وقد سبق تحذير الله لعباده فى قوله ﴿**واتقوا فتنةً لا تصيبن الذين ظلموا منكم**

---

(١) أخرجه الترمذى .

(٢) أخرجه البخارى .

(٣) متفق عليه .

خاصة ﴾[1]

وهذا التحذير فيه توجيه أيضا الى ضرورة التخلص من أسباب الفتنة لتصفو الحياة للباقين ، ولا يتم ذلك إلا إذا اهتم المسلمون بما يجرى بين ظهرانيهم ، ودرسوا مدلولاته ، وعرفوا ما يهدف إليه فى القريب العاجل وفى البعيد المنتظر ، لأنّ ما هو آت قريب .

ولذلك كان من صلاح المجتمع الحرص على صلاح أفراده ، وقد تبين لنا مما تقدم أن الإسلام جعل من الإخوة فى الدين أقوى رابطة بين المسلمين ، وأن رابطة الدم لا تعدل رابطة الدين ، لأن رابطة الدين هى التى تصل بالله مباشرة ، إذ لا يجمع بين المسلمين سوى الإيمان بالله سبحانه وتعالى ، والعمل على مرضاته ، وقد قال سبحانه موضحا هذه الرابطة :

﴿يآ أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أوليآء إن استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم فاولّئك هم الظالمون . قل إن كان آباؤكم وابناؤكم واخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبَّ إليكم من الله ورسوله وجهاد فى سبيله فتربصوا حتى يأتى الله بأمره والله لا يهدى القوم الفاسقين﴾[2]

إن هذه الصلات والوشائج جميعها لا قيمة لها بنظر الإسلام إن لم تكن مبنية على حب الله وحب رسوله وجهادٍ فى سبيل الله ،

---

(١) سورة الأنفال . الآية ٢٥ .

(٢) سورة التوبة . الآيتان ٢٣ و ٢٤

ولذلك فإن من كان يرتبط بأقربائه برباط الإيمان ، ومن كان يتخذ ما آتاه الله قربة عند الله ، فإن هؤلاء هم الذين عناهم الله بمفتتح خطابه عندما قال ﴿**يا أيها الذين آمنوا**﴾ أى أن الإيمان هو المعيار بين هذه القرابات ، وليس الدم أو صلات القربى التوالدية .. أو الكسب المادى الذى يتجمع للإنسان فى حياته الدنيا ، لأن هذه القرابة ، أو هذا الكسب إن لم تكن عونا للانسان المؤمن على تمتين صلته فإنها تنقلب وبالا عليه .. كما أكد ذلك رب العالمين بقوله ﴿**وما أموالكم ولا أولادكم بالتى تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن وعمل صالحا فأولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم فى الغرفات آمنون**﴾ (١)

وفى قوله تعالى ﴿**واعلموا أنَّما أموالكم وأولادكم فِتْنَةٌ وأنَّ اللهَ عندهُ أجرٌ عظيم**﴾ (٢)

وان المقصود من الأموال هو كل ما يتملكه الإنسان من منقول أو عقار ، وإن المقصود من الأولاد هى القرابة الجامعة ، وليس هناك قرابة أقرب من الولد لأبيه ، وفى آية أخرى يقول سبحانه :

﴿**لن تنفعكم ارحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير**﴾ (٣)

وهذا القول من الله سبحانه وتعالى جامع للقرابة ومبيّن للعلاقة

---

(١) سورة سبأ . الآية ٣٧ .
(٢) سورة الأنفال . الآية ٢٨ .
(٣) سورة الممتحنة . الآية ٣ .

التى تربط بين الأقرباء ، من أن الذى ينفع ويجمع هو الإيمان بالله لا غير . .

والأخوّة فى الإسلام تقوم كما سبق وبينا على الإيمان بالله وعلى الحب فى الله والبغض فى الله ، وإن المؤمن الذى هو أخ للمؤمن أشد قرابة من قرابة الدم بين الإخوة الأشقّاء ، وان هذه الصلة الإيمانية هى التى تُقوى الروابط بين أفراد المجتمع ، وهى التى تجعل من المجتمع وحدة متماسكة متراصة توفيقا مع قوله ﷺ .

« **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا** »[1] قال « **ثم شبك بين أصابعه** » .

ومع قوله عليه الصلاة والسلام :

« **ترى المؤمنين فى تراحمهم وتوادّهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تَداعىٰ له سائر جسده بالسهر والحمى** »[2]

وأنَّ هذا التمثيل منه ﷺ يفيد متانة الصلة بين أفراد المجتمع المسلم ، ومن كان شأنه هكذا ، فإن الذى يصيبه من خير أو شر يصيب الآخرين ، وبذلك تجد الترابط على أقوى وجه وأشده .

وإن هذه الصلة الإيمانية تستمد قوتها من توجيه الله سبحانه وتحذيره للمؤمنين فيما يجب عليهم أن يفعلوه ، وما يجب عليهم أن يحذروه ، يقول سبحانه :

﴿يآ أيها الذين آمنوا اتقوا الله حق تقاته ولا تموتُنّ إلا وأنتم مسلمون . واعْتَصِمُوا بحبل الله جميعا ولا تَفَرَّقُوا واذكروا نعمة الله

---

(١) و (٢) متفق عليهما .

عليكم إذ كنتم أعداءً فألّف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها كذلك يبين الله لكم آياته لعلكم تهتدون﴾[1]

من هذا التوجيه الآلهى الكريم يتبين لنا أن التقوى هى عماد الفلاح ، وان الحرص يجب أن ينصب على حسن الخاتمة ، وهى أن لا نموت إلا ونحن مسلمون ، وإن ذلك يتحقق لنا فيما إذا اعتصمنا بحبل الله المتين ، وكيف يكون هذا الاعتصام ، إفراديا ؟ ، وكلا ، إنما يقول رب العالمين **﴿جميعا﴾** وان لا نتفرق .. ويضرب لنا المثل فيما كان المسلمون عليه قبل هداية الله لهم .. ويحذرنا من أن نعود الى ما كانوا عليه ..

ومن هنا يتأكد لنا أن روابط المجتمع تقوى ، حَقّ التقوى ، وبأن نحرص على أن نختم حياتنا الدنيا ونحن مسلمون ، وأن نعتصم بحبل الله .. الى آخر ما جاء بتوجيهات رب العالمين ..

وعلى هذا تكون الاخوة فى الإسلام فيما إذا تم تحقيق مقاصدها ومعانيها بين المسلمين فى تعاملهم ، وفى صلاتهم فيما بينهم وفيما بينهم وبين الناس جميعا ، تكون سببا متينا لتقوية روابط المجتمع ، وهذا ما يدعو إليه الإسلام والحمد لله رب العالمين .

---

(١) سورة آل عمران . الآيتان ١٠٢ و ١٠٣ .

الباب الثالث
وسائل تحقيق الاخوة فى الإسلام

الفصل الأول : الوسائل العملية

الفرع الأول : الالتزام العملى بالأخلاق الاسلامية

الفرع الثانى : الدعوة بالحسنى

الفرع الثالث : الأخذ بالأفضل

الفرع الرابع : الاعداد والأخذ بالأسباب

الفصل الثانى : الوسائل الأخلاقية

الوسيلة الأولى : الصـــدق

الوسيلة الثانية : الرحمــة

الوسيلة الثالثة : الأمـــانة

الوسيلة الرابعة : العـــدالة

الفصل الثالث : الوسائل التشريعية

صـــلاة الجمـــاعة

أولا : الصلوات الخمس

ثانياً : صلاة الجمعة

ثالثاً : صلاة العيدين

رابعاً : اللقاء السنوى على صعيد عرفة

الفصل الرابع : الوسائل التطبيقية

أولاً : تعاون المسلمين وتكافلهم فى المجتمعات الصغيرة

ثانياً : ضرورة التعاون المشترك

الباب الثالث
وسائل تحقيق الأخوة فى الاسلام

الفصل الأول
الوسـائل العمليـة

الفرع الأول
الالتزام العملى بالأخلاق الاسلامية

إن التخلق الصادق بأوامر الاسلام التزاماً واجتنابا ، يجعل المسلم يشعر بحق أنه أخ للمسلم ، وأنهم جميعاً يد واحدة فى السراء والضراء ، وأنهم لا تقهر عند البأس ..

وإن على غير المسلمين فيعطيهم مثلاً سيئاً عما يجب أن يكون عليه المسلم . ويظنون أنهم يشاهدون انموذجاً اسلامياً ، فينفرون من الاسلام ، ويكيدون لأهله ، استناداً إلى ما شاهدوه ولمسوه من سوء تصرف بعض المسلمين ، ويقع إثمهم فى ذلك على من تسبب بتشويه حقيقة الاسلام بمواجهتهم .. وهذه ناحية هامة جداً ، لأن كثيراً من المسلمين لا يدركون أن تصرفاتهم قد تكون لها انعكاسات على من هم تحت أيديهم ، أو من يجوارهم أو من يتعاملون معهم ..

لأن المسلم صاحب رسالة ، فاذا أساء حملها ولم يحسن اداءها نقل ذلك من حيث يشعر أو لا يشعر ، إلى أولئك الذين لا يعلمون شيئاً عن مبادىء الاسلام سوى ما تعكسه تصرفات من يشاهدونهم من المسلمين .. فتكون هذه التصرفات سبباً منفرا عن الاسلام .

وكذلك يسيء إلى من هو مسؤول عنهم ، فيظنون أن الاسلام هو ما تعكسه تصرفات راعيهم .. وهكذا تتوسع الحلقة ولا يدرك مدارها إلاّ الله .. ويتحمل هذا المسيء وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة .

وإنه مهما سمت المبادىء والتوجيهات ولم تجد من يأخذ بها ، لم يكن لها أثر ولم تُغْنِ أصحابها شيئاً ، وكأنها غير موجودة .. أو غير ذات نفع للناس .

وإن سمو المبادىء والتعاليم هو فى إبرازها ناطقة فى تصرفات الناس وسلوكهم ، ولذلك قالت السيدة عائشة رضى الله عنها عن الرسول ﷺ ـ عندما سئلت عن خلقه ـ قالت : كان خلقه القرآن .. فقد كان مثلاً صادقاً لما يأمر به القرآن ، ونجد انعكاس أوامره بارزه فى تصرفاته كلها ، ولذلك قال عليه الصلاة والسلام :

«قد تركتكم على المحجة ، ليلُها كنهارها لا يزيغ عنها بعدى إلاّ هالك» (١)

وقال أيضاً :

«وإنى قد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده إن اعتصمتم به كتاب الله» (٢)

---

(١) رواه ابن ماجة .

(٢) متفق عليه .

فالقرآن هو عصمة المسلمين ، ومن لا يأخذ به ضل وأضل ، وقد أمر الله سبحانه نبيه أن يبين للناس ما نزل إليهم ، وبذلك كانت سنته ﷺ الثابتة عنه متممة للقرآن ، وكان الأخذ بها أخذاً بأوامر الله سبحانه الذى قال :

﴿وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا واتقوا الله إن الله شديد العقاب﴾ (١)

وإن ما سيأتى معنا من شواهد قرآنية ستكون عوناً على تحقيق معنى الأخوة فى الاسلام فيما اذا التزم بها المسلم وجعل من نفسه مثالاً حياً لها . وهذا واجب عينى على كل فرد مسلم .

الفرع الثانى
الدعـوة بالحسـنى

يقول الله تبارك وتعالى فى كتابه الكريم موجهاً المؤمنين من عباده للأخذ بمحاسن الأخلاق تحقيقاً لمصلحتهم :

- **﴿وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن﴾** (٢)
- **﴿يآأيها الذين آمنوا اتقوا الله وقولوا قولاً سديداً﴾** (٣)
- **﴿وقولوا للناس حسناً واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة﴾** (٤)

---

(١) سورة الحشر ، الآية ٧ .
(٢) سورة الإسراء ، الآية ٥٣ .
(٣) سورة الأحزاب ، الآية ٧٠ .
(٤) سورة البقرة ، الآية ٨٣ .

● **﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إنني من المسلمين﴾**[1] .

● **﴿أدع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾**[2]

إن هذه الآيات الكريمة ، ونظائرها فى القرآن الكريم ، تدفع بالمؤمن إلى القول الحسن والجدال بالتى هى أحسن ، والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ..

وإن أحسن ذلك كله الدعوة إلى الله مقرونة بالعمل الصالح ، لكيلا تكون دعوة الداعى مغايرة لأفعاله ، فينطبق قول الله عليه :

● **﴿يآ أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون . كبر مقتاً عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون﴾**[3]

وإن الداعى الاسلامى عليه أن يعرف بنفسه بأنه مسلم ، وأن هذا التعريف يرتب عليه أن يكون داعية لغيره متخلقاً بالأخلاق الاسلامية التى يدعو إليها ، ولنعيد التأمل فى قوله تعالى :

● **﴿ومن أحسن قولاً ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال إننى من المسلمين﴾**

وهل يكون الداعى إلى الله مسلماً ، وتحسن دعوته إذا كان سلوكه ، وكانت اخلاقه مغايرة لما يدعو إليه ؟

---

(١) سورة فصلت . الآية ٣٣ .
(٢) سورة النحل . الآية ١٢٥ .
(٦) سورة الصف . الآية ٢ .

إن التطبيق العملى للدعوة إلى الله أن يتخلق المسلم بأخلاق الاسلام ، لأن كل مسلم داعية إلى الله ، وأن تنطق تصرفاته بأنها تصرفات صادرة عن مسلم . إذ لا يصح إسلام احدنا إن لم يأخذ نفسه بالأخلاق الاسلامية ويكون قوله وفعله مما لا يتعارض مع ما يدعو إليه ..

وقد قال الله تعالى موجهاً المؤمنين أن يتخذوا النبى ﷺ قدوة لهم :

﴿لقد كان لكم فى رسول الله أسوة حسنة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر﴾ [1] .

وهذا التوجيه الكريم من الله سبحانه غير خاص بموقف من مواقفه ﷺ ، وإنما هو توجيه عام للتخلق بأخلاقه ﷺ ـ ما أمكن ـ لأنه المثل الأعلى للأمة الاسلامية .

ومما يروى عنه ﷺ من محامد الصفات :

● عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما قال : لم يكن رسول الله ﷺ فاحشاً ولا متفحشاً ، وكان يقول «**إن من خياركم احاسنكم أخلاقاً**» [2] .

والمراد من معنى هذا الحديث «أنه ﷺ لم يتجاوز الحد فى جميع المباحات الخاصة والعامة ، وحتى فى العبادات فقد كان كالميزان المستقيم لتقتدى به أمته ويكون عند قول الرب سبحانه

---

(١) سورة الأحزاب . الآية ٢١ .

(٢) متفق عليه .

وتعالى ﴿وإنك لعلى خلق عظيم﴾ وكان لا يقابل الاساءة فى الكلام بمثلها ، ومن اتصف بحس الخلق كف مساويه عن الناس وابتعد عن السيئات ..

● عن أنس رضى الله عنه ـ قال : قال رسول الله ﷺ : **«يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفّروا»**[1]

وهذا توجيه منه ﷺ للأمة بالتيسير فى الأمور كلها ونهى منه عن التشديد والتنفير لأنه ﷺ كان من خلقه التيسير فقد روى الشيخان عن عائشة رضى الله عنها قالت : «ما خُير رسول الله ﷺ بين أمرين قط إلاّ أخذ أيسرهما ما لم يكن إثماً» .

● وعن جرير بن عبدالله من رواية الإمام مسلم قال رسول الله ﷺ : **«من يحرم الرفق يحرم الخير كله»** . وقال أيضاً :

إن الله رفيق يحب الرفق ، ويعطى على الرفق ما لا يعطى على العنف ، وما لا يعطى على ما سواه . من رواية الامام مسلم عن عائشة رضى الله عنها .

وقد وصف رب العالمين رسوله ﷺ فى آخر سورة التوبة بقوله :

● **﴿لقد جاءَكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم﴾**[2]

وقال رب العالمين فى سورة الأعراف موجهاً الرسول الكريم بما

---

(١) متفق عليه .

(٢) سورة التوبة ، الآية ١٢٨ .

هو أهل له :

● ﴿خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين﴾[1]

وقد ورد فى تفسير هذه الآية الكريمة أنه (أمر له ﷺ بمكارم الأخلاق ، أى : خذ بالسهل اليسير فى معاملة الناس ومعاشرتهم . قال ابن كثير «وهذا أشهر الأقوال ويشهد له قول جبريل للرسول ﷺ»

«إن الله يأمرك أن تعفو عن ظلمك وتعطى من حرمك وتصل من قطعك» .

وأمر بالعرف ، أى بالمعروف والجميل المستحسن من الأقوال والأفعال ، وأعرض عن الجاهلين ، أى لا تقابل السفهاء بمثل سفههم بل احلم عليهم . قال القرطبى : «وهذا وإن كان خطاباً لنبيه عليه الصلاة والسلام فهو تأديب لجميع خلقه .)[2]

وقال عليه الصلاة والسلام من رواية للإمام مسلم عن أبى ذر رضى الله عنه :

● لا تحقرن من المعروف شيئاً ولو أن تلقى أخاك بوجه طليق »
وقال أيضا : « والكلمة الطيبة صدقة » .

هذه بعض مقتطفات من أخلاق الرسول ﷺ ومن توجيهاته لعل الدعاة أن يتخلقوا بها فيكون لهم فى ذلك الأجر العظيم ، وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة لا ينقص من اجورهم شىء .

---

(١) سورة الأعراف ، الآية ١٩٩ .

(٢) من كتاب (صفوة التفاسير) لفضيلة الشيخ محمد على الصابونى ص ٤٨٨ .

الفرع الثالث
الأخــذ بالأفضــل

إن التماثل فى المعاملة لا يزيد المسلم فضلاً عن غيره ، لأنه عامله بالمثل . غير أن التفاضل هو بما تقدمه من تلقاء نفسك زيادة على ما تلقيته من أخيك المسلم ، أو أن تتجاوز عن الرد عليه فيما إذا أساء إليك ، وتعامله بالأحسن ، فتكون عند ذلك ممن تخلق بالأخلاق المثلى التى يدعو إليها الإسلام ويحض عليها اتباعه .

وان المسلم إذا تساوى بالمعاملة مع أخيه المسلم ـ أو مع غيره ـ فانه لا تفاضل بينهما ، وقد يكون البادىء هو الأولى بالفضل .

أما إذا كان تصرفك تجاه أخيك المسلم أو تجاه غيره أفضل من تصرفه معك ، كنت أنت الذى أخذت بقول الله سبحانه ، ﴿**ادفع بالتى هى أحسن السيئة**﴾[1] وكنت المقدم عند الله وعند الناس .

ومن هذه التوجيهات الكريمة ما نراه وارداً فى الأمور الاجتماعية ، ومنها ما هو وارد فى الأمور المالية .

(أ) وإن الشاهد الأول على الناحية الاجتماعية يرد فى قوله تعالى بالنسبة للتحية وافشاء السلام» ـ ﴿ **وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها** . (وهذا هو الفضل) ، **أو ردوها** ، (وهذه هى المماثلة) ، **إن الله كان على كل شيء حسيبا**﴾[2] .

---

(١) سورة المؤمنون . الآية ٩٦ .

(٢) سورة النساء . الآية ٨٦ .

إن الفضل فى المبادرة بالسلام أمر ثابت بالسنة ، وكذلك التأكيد على إفشاء السلام ، أما التفاضل فى ذلك هو أن تحرص على رد التحية بأحسن منها ، فتكسب محبة من أجبته بالتحية ، وتكون حققت أمر الله الذى يأخذ صفة الايجاب عند من يقول بوجوب ذلك .

أما إذا رددتها له بمثل تحيته فيكون هو الأسبق بالفضل لأنك ماثلته بالتحية التى ابتدأك بها ، ولأن السلام مندوب بأن يلقيه على من عرف ومن لم يعرف .

(ب) والشاهد الثانى من الناحية الاجتماعية قول الله سبحانه بالنسبة للرد على السيئة بالحسنة وإنها لا تكون إلاّ لمن أوتى حظاً عظيماً .

● ﴿ **ولا تستوى الحسنة ولا السيئة ادفع بالتى هى أحسن فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولىّ حميم . وما يلقاها إلاّ الذين صبروا وما يلقاها إلاّ ذو حظ عظيم** .﴾[1]

وهل بعد قول الله من قول ؟ : لا تستوى الحسنة ولا السيئة . لأنه شتان بين من أساء وبين من أحسن .

هذا وإن الذى يدفع السيئة بسيئة مثلها غير ملوم ، وإنما التفاضل لا يكون فى مثل هذا العمل ، ولذلك نجد التوجيه الربانى لعباده المؤمنين أن يتجاوزوا عمّن أساء إليهم بالاحسان إليه ، وهذا التصرف الأمثل غاية لا يرقى إليها ولا يستطيعها إلاّ الذين صبروا ...

(١) سورة فصلت - الآية ٣٤ .

وقليل ما هم .

وإن هذا المعنى يتأكد بالآية التالية :

● ﴿**وجزآء سيئة سيئة مثلها فمن عفا واصلح** (وهنا التفاضل) **فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين**﴾[1]

وإن من ثمرات هذا التفاضل أن ينقلب العدو إلى ولى حميم ، وهذا ما أخذ به المصطفى صلوات الله وسلامه عليه يوم الفتح عندما تمكن من خصومه قريش ـ الذين آذوه واخرجوه من دياره .. ان عفا عنهم واجابهم بقوله «لا تثريب عليكم اليوم ـ أى لا ملامة ـ اذهبوا فانتم الطلقاء .

وقد انقلب هؤلاء الخصوم بهذه المعاملة الحسنة إلى أولياء فسارعوا فى الدخول فى دين الله افواجا ، وقوى بهم الاسلام ، وانتشر بهم وبمن سبقهم بالايمان فى أقطار الأرض ..

وإن من الصفات الايمانية التى يتخلف بها المسلم هى هذه الصفة التى تجعله فى مرتبة الفضل ، التى وردت ضمن صفات إيمانية أخرى فى سورة الرعد وانتهت بقوله تعالى :

● ﴿**والذين صبروا ابتغآء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وانفقوا مما رزقناهم سرا وعلانية ويدرون بالحسنة السيئة اولٓئك لهم عقبى الدار**﴾[2] .

كما وردت فى قوله تعالى فى سورة القصص :

---

(١) سورة الشورى ، الآية ٤٠ .

(٢) سورة الرعد ، الآية ٢٢ .

● **﴿اولَّئك يؤتون اجرهم مرتين بما صبروا ويدرءون بالحسنة السيئة ومما رزقناهم ينفقون﴾** [1]

(جـ) والشاهد الثالث على الناحية الاجتماعية المسارعة فى الخيرات وأن لا يكون المسلم سلبياً يقتصر على نفسه ولا يهتم بأمر غيره من المسلمين. يقول الله تبارك وتعالى :

● **﴿لا خير فى كثير من نجواهم إلاّ من أمر بصدقة أو معروف أو إصلاح بين الناس ، ومن يفعل ذلك ابتغآء مرضاة الله فسوف نؤتيه أجراً عظيما﴾** [2]

إذ أن كثيراً ما يجتمع المسلمون فى لقاءات أو فى (سهرات) ويتشعب بهم الحديث ، وقلما يثمر فى ختامه سوى الغيبة أو الكلام الفارغ .. أو تزجية الوقت ..

وإن هذا كله محاسبون عليه عند الله ، ولذلك كان التوجيه السديد من الله سبحانه أن هذه اللقاءات أو السهرات أو الاجتماعات العائلية .. ليس فيها من خير إلاّ إذا تحقق منها أو نتج عنها إنفاق فى سبيل الله ، أو عمل معروف ـ والمعروف لفظ يعم أعمال الخير كلها ـ وعمل المعروف فى حد ذاته صدقة ، لقوله ﷺ :

● « **كل معروف صدقة ، وإن من المعروف أن تلقى أخاك بوجه طلق**» . [3]

---

(١) سورة القصص ، الآية ٥٤ .

(٢) سورة النساء ، الآية ١١٤ .

(٣) رواه الإمام مسلم وأحمد والترمذى .

ويستحسن فى المعروف أن يسارع فيه صاحبه خوفاً من فواته ، وأن لا يحتقر المعروف مهما كان صغيراً . ومن شرط المعروف ترك الامتنان به ، وترك الاعجاب بفعله ، لما فيهما من اسقاط الشكر وإحباط الأجر .

وإن الإصلاح بين الناس عام يشمل الدماء والأموال والأعراض ، وفى كل شيء يقع التداعى والاختلاف فيه بين المسلمين ، ويروى عن الرسول ﷺ أنه قال لأبى أيوب :

● ألا أدلك على صدقة يحبها الله ورسوله : تصلح بين أناس إذا تفاسدوا ، وتقرب بينهم إذا تباعدوا .

ويروى عن الإمام الأوزاعى أنه قال :

«ما خطوة أحب إلى الله عز وجل من خطوة فى إصلاح ذات البين ، ومن أصلح بين اثنين كتب الله له براءة من النار»[1]

(د) والشاهد على الأخذ بالفضل فى أمور التعامل قول الله تبارك وتعالى فى سورة البقرة :

● **﴿وإن كان ذو عسرة فنظرة إلى ميسره وان تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون﴾**[2]

فقوله سبحانه (فنظرة إلى ميسرة) هو من العدل . وقوله (وان تصدقوا خير لكم) هو من الفضل .

فالتوجيه الالهى الكريم أن ينظر الدائن مدينه إلى أن تتيسر

(١) تفسير القرطبى الجزء الخامس الصفحة ٣٨٥ .
(٢) سورة البقرة ، الآية ٢٨٠ .

أموره ، لأن المعدم الذى لا يجد ما يسدد به دينه ، لا يملك عليه الدائن سوى الانتظار ، لأن الامتناع عن أداء الدين مع الامكان ظلم ، كما أن تحميل المدين ما لا يستطيع ظلم أيضاً .

ويروى أن رجلاً أصيب فى عهد رسول الله ﷺ فى ثمار ابتاعها فكثر دينه ، فقال رسول الله ﷺ : «تصدقوا عليه» فتصدق الناس عليه فلم يبلغ ذلك وفاء دينه ، فقال رسول الله ﷺ لغرمائه «خذوا ما وجدتم وليس لكم إلاّ ذلك»[1]

وهذا التوجيه من العدل ، لأن المعدم الذى لا يجد ما يفى به دينه ، بعد تحرى ذلك والتثبت منه ، يوجب وضعه هذا على دائنه أن ينظره إلى حين اليسر.

أما الفضل ، فهو ما يوجهنا إليه رب العالمين فى قوله : ﴿**وأن تصدقوا خير لكم إن كنتم تعلمون**﴾ .

وقد روى مسلم عن أبى مسعود أن رسول الله ﷺ قال :

● حوسب رجل ممن كان قبلكم فلم يوجد له من الخير شيء إلاّ أنه كان يخالط الناس وكان موسراً ، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر. قال : قال الله عز وجل : ﴿**نحن أحق بذلك منه تجاوزوا عنه**﴾ .

---

(١) رواه الإمام مسلم .

الفرع الرابع
الإعداد والأخذ بالأسباب

إن الإسلام لا يريد من اتباعه أن يكونوا عالة على غيرهم ، لأن يعلو ولا يعلى عليه ، ولأن اليد العليا خير من اليد السفلى .

وإن تحقيق هذا المعنى فى المسلم لا يتم إلاّ بالاعداد والأخذ بالأسباب ، لأن الحاجة قد تدفع بالمرء إلى أن يذل نفسه لغيره ، وقد قيل فى هذا «قاتل الله الحاجة كم اذلت من اعناق الرجال» . وإن المسلم يأبى عليه دينه أن يذل نفسه لغير الله ، ولغير إخوانه المسلمين .. لقوله سبحانه :

- ﴿**أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين**﴾[1] ولقوله أيضاً :
- ﴿**ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين**﴾[2] .

وهذه العزة لا تتحقق فى جميع متطلباتها إلاّ بأن يأخذ المسلم بالأسباب ، فيعمل ليكسب وليتمكن من الانفاق ، ويتعلم فيحسب الاستفادة من علمه لتحسين أوضاعه الاجتماعية والعامة .. وليحقق بعلمه وماله ما يستطيع أن يستغنى به عن غيره ، وأن يتعاون مع غيره ليتقوى به ، لأن يد الله مع الجماعة .. وأن يراقب الله فى نفسه ، وفى أولاده وأهله ، وفى اخوانه وامته .. وأن يبتعد عن كل ما يضر به ويجعله مصدر أذى أو مثل سوء .. وأن

---

(١) سورة المائدة ، الآية ٥٤ .

(٢) سورة المنافقون ، الآية ٨ .

يكون أسوة حسنةً فى كل ما يصدر عنه ، وأن يعلم أن المؤمن القوى أحب إلى الله من المؤمن الضعيف .. وأن القوة وحدها دون أمانة قد تنقلب إلى تسلط وتجبر .. لذلك قرن الله بينهما بقوله على لسان إبنه شعيب ، **﴿يآ ابت استأجره إن خير من استأجرت القوى الأمين﴾** [1] .

وعلى المسلم أن يضع بين عينيه أنه وحده قد لا يغنى فى تحقيق ما يريده من خير إن لم يستعن بأخيه المسلم ، لذلك وجدنا أن التوجيهات الكريمة ترد من الله سبحانه خطاباً عاماً للمؤمنين وانهم إذا ما أخذوا بها جميعاً تحقق المراد من هذا التوجيه الكريم :

فهم : أعزاء **﴿ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين﴾** [2]

وهم : أقوياء **﴿واعدوا لهم ما استطعتم من قوة﴾** [3]

وهم : علماء **﴿هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولو الألباب﴾** [4]

وهم : اتقياء : **﴿إن أكرمكم عند الله اتقاكم﴾** [5]

وهم : أسخياء **﴿الذين ينفقون أموالهم بالليل والنهار سرا وعلانية﴾** [6]

وهم : رحماء **﴿محمد رسول الله والذين معه أشداء على**

---

(١) سورة القصص ، الآية ٢٦ .
(٢) سورة المنافقون ، الآية ٨ .
(٣) سورة الأنفال ، الآية ٦٠ .
(٤) سورة الزمر ، الآية ٩ .
(٥) سورة الحجرات ، الآية ١٣ .
(٦) سورة البقرة ، الآية ٢٧٤ .

الكفار رحماء بينهم﴾[1]

وهم : عادلون **﴿إن الله يأمر بالعدل﴾**[2]

وهم : متناصرون **﴿والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أوليآء بعض﴾**[3]

وهم : متعاونون **﴿وتعاونوا على البر والتقوى﴾**[4]

وهم : متناصحون **﴿والعصر إن الانسان لفى خسر إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر﴾**[5]

وهم : صابرون مرابطون **﴿ياأيها الذين آمنوا اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله لعلكم تفلحون﴾**[6]

هذه بعض صفات المؤمنين فى تعاونهم بعضهم مع بعض وفى أخذهم بالأسباب ليحققوا مدلول هذه الصفات فيهم وأنهم كما أرادهم ربهم **﴿خير أمة أخرجت للناس﴾**[7]

وإن هذه الصفات ليست صفات رمزية تطرح عليهم دون التفات إلى حقائقها ، وإنما هى صفات لاصقة بهم ، وإنها هى الوسائل المجدية لتحقيق معنى الأخوة عملياً بين المؤمنين.

وإن من لم يأخذ بهذه الصفات قولاً وعملاً يضر بنفسه وبأمته ،

---

(١) سورة الفتح ، الآية ٢٩ .
(٢) سورة النحل ، الآية ٩٠ .
(٣) سورة التوبة ، الآية ٧١ .
(٤) سورة المائدة ، الآية ٢ .
(٥) سورة العصر .
(٦) سورة آل عمران ، الآية ١٩٩ .
(٧) سورة آل عمران ، الآية ١١٠ .

وأن على كل مسلم أن يتمسك بها ولو تهاون غيره بذلك ، لأن الإنسان مؤاخذ عن تقصير نفسه ، ولا يسأل عن تقصير غيره إلاّ إذا كان مسؤولاً عنه وقصّر فيما يجب عليه تجاهه ، وبعد أن يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ، ولا يستمع له .. عند ذاك تكون مسؤولية المقصّر على نفسه ولا يشاركه فيها أحد ..

وإذا قام كل فرد بواجبه ولم ينظر إلى تقصير غيره بعد نصحه ، ظهر إلى الوجود المجتمع الإسلامى المنشود ، وهذا ما يدعو إليه الاسلام ويؤكد عليه .. وهذا السلوك الفردى فى تحمل المسؤولية هو من مقاصد الأخوة فى الاسلام ، لأن مجتمع الأخوة الاسلامى مبنى من أفراده ، وان صلاح الأفراد يعود خيره على الجماعة ، كما أن تماسك الجماعة يعود أثره على الفرد .

الفصل الثّـانى
الوسائـل الأخـلاقية

الوسيلة الأولى : الصـدق

إن الصفات الايمانية التى سبق وعددت بعضا منها ، هى جميعها من مكارم الاخلاق التى يقوم عليها إسلام أحدنا ؛ الاسلام الصحيح . وإن التنكر لها أو لأى منها يجعل إيمان أحدنا ناقصا . ولابد من تدارك هذا النقص فى الحياة الدنيا قبل أن لا يكون هناك درهم ولا دينار ولا عمل .. لقوله ﷺ :

ـ « من كانت عنده مظلمة لأخيه من عِرضهِ أو من شئ فليتحلل منه اليوم قبل أن لا يكون دينار ولا درهم ـ إن كان له عمل صالح أخذ منه بمقدار مظلمته ـ وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه فحمل عليه »[1]

وقد اكد الرسول هذا المعنى بحديث آخر يرينا فيه أن الخسارة التى يقع فيها الانسان نتيجة لسؤ تصرفه مع الآخرين هى التى ستأتى على حسناته يوم القيامة ، وإنه هو المفلس الحقيقى الذى خسر الدنيا والآخرة ، فيقول ﷺ موجها أصحابه وإخوانه الذين سيأتون من بعده :

---

(١) رواه الإمام البخارى .

ـ أتدرون من المفلس ؟

قالوا : المفلس فينا من لا درهم له ولا دينار .

قال : المفلس من أمتى من يأتى بصلاة وصيام وزكاة ، ويأتى قد شتم هذا ، وقذف هذا وضرب هذا ، وسفك دم هذا .. فيُعطى هذا من حسناته ، وهذا من حسناته ، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح فى النار »[1]

وهذا التحذير الشديد والتوجيه السديد يدفع بالمسلمين إلى أن يتحاشوا ما يخل بإيمانهم وأن يحسنوا تعاملهم وصلاتهم مع الآخرين لتسلم لهم عاقبتهم ، وأن يتحلوا بمكارم الأخلاق التى هى رأس مال المسلم ، وثروته يوم القيامة ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .. وهذا ما يدعو إليه الإسلام وهذا ما يريده من اتباعه ..

والإسلام أخلاق كله ، وهذه الأخلاق لا يقتصر أثرها على من يتخلق بها ، وإنما يتعدى غيره ، لأن المسلم اجتماعى بطبعه وهو يألف ويُؤلف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يُؤلفَ ، وإنه لم يعط أَحدٌ من خيرٍ مثل ما أُعطى من حسن خلق .. وإن أعظم وصفٍ وصف به إنسان وأبلغه ، ما وصف به رب العالمين رسوله المصطفى بقوله : ﴿ **وإنك لعلى خلق عظيم** ﴾[2] . كما ان زوجته السيدة عائشة رضى الله عنها أجابت من سألها عن خلقه ﷺ بقولها :

(١) رواه الإمام مسلم .

(٢) سورة القلم ، الآية ٤ .

«كان خلقه القرآن»[1] .

وإن القرآن بين أيدينا ، وإننا نتلو منه أو نسمع منه يوميا كثيرا من آياته ، فإذا ما تدبرنا القرآن توصلنا إلى معرفة خلق الرسول ﷺ .. وإن التوصل إلى هذه المعرفة لا تجدى أحدنا شيئا إلا إذا عمل على التخلق بما كان عليه الصلاة والسلام واهتدى بهديه .. وقد أمر الله سبحانه رسوله المصطفى بأن يبين للناس ما نُزّل إليهم ، ولهذا فإن ما بيّنه الرسول لأمته من أحكام الدين هو من متمّمات هذا الدين ، ولا يصح الاقتصار على ما ورد فى القرآن دون تطبيق ما أمر به الرسول ﷺ .. فلا بدّ من مدارسة ما صدر عنه من أوامر ونواهٍ ، ومواعظ وتوجيهات .. وأن نضعها موضع التطبيق الفعلى ، وأن لا نتهاون فى أى منها لأنها من طاعة الله سبحانه ﴿ **ومن يطع الرسول فقد اطاع الله** ﴾[2] .

وإن هناك بعض صفات لابد من أن تكون بارزة ومعروفة فى المسلم لمن يتعامل معهم ، لتتحقق الثقة به ، وهى من أمهات مكارم الاخلاق ، أعدد بعضا منها فيما يلى :

الوسيلة الأولى : الصـــدق

إن من أبرز ما يجب أن يتحلى به المؤمن هو الصدق ، الصدق فى كل شئ ، فى القول والعمل والاعتقاد اليقينى النابع من القلب . وقد أمر الله عباده بالصدق وحضّ عليه وقال لهم :

(١) رواه الإمام أحمد .

(٢) سورة النساء ، الآية ٨٠ .

﴿ **يآأيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين** ﴾[١] .

وان الصدق يهدى الى البر وان البر يهدى الى الجنة ، وان الرجل ليصدق حتى يكون صديقا ، وان الكذب يهدى إلى الفجور ، والفجور يهدى الى النار ، وان الرجل ليكذب حتى يكتب عند الله كذابا ، كما ورد عنه ﷺ[٢] .

وإذا ما صدق المسلم مع الناس فلا يعقل منه أن لا يصدق مع الله ، وإن خلق الصدق فى المسلم يوحى بالثقة والاطمئنان إلى كل من تعرّف عليهم وتعامل معهم ، وهو أكثر تأثيرا فى الآخرين من أى خلق آخر ، لأنه أسرع ظهورا من غيره من الاخلاق ، وإنه إذا ما تبين للآخرين ان من يتعامل معهم غير صادق ، فسينفرون منهويحذرونه ، وسيبنون كل تصرفاته على ما ثبت لديهم من تصور عنه ..

وقد كان من أبرز صفات الرسول ﷺ قبل البعثة الصدق والأمانة .. وكان الصدق أكبر عامل فى أن يؤمن بدعوته من عرف فيه هذه الخليقة ، حتى قال فيه أبوبكر الصديق رضى الله عنه : « لا يكذب على الناس ، فكيف يكذب على الله ؟ »

وقد ختم رب العالمين الآية الجامعة التى تبيّن معنى البرّ بعد وصفه لمن آمن بالله .. بقوله : ﴿ **أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون** ﴾[٣]

---

(١) سورة التوبة ، الآية ١١٩ .

(٢) رواه الإمام البخارى .

(٣) وهذه الآية الجامعة هى قوله تعالى فى سورة البقرة ﴿ **ليس البر أن تولوا وجوهكم** =

فقد وصف الله تعالى من آمن منهم بالله بالصدق والتقوى فى امورهم والوفاء بها ، وأنهم كانوا جادّين فى الدين ، وهذا غاية الثناء . والصدق ، خلاف الكذب ، ويقال صدقوهم القتال . والصدّيث الملازم للصدق . وفى الحديث « عليكم بالصدق فإن الصدق يهدى إلى البر ، وان البر يهدى إلى الجنة ، وما يزال الرجل يصدق ويتحرّى الصدق حتى يكتب عند الله صديقا »[1] كما سبق ذكره .

الوسيلة الثانية : الرحمـــة

وكذلك فإن من أبرز ما يجب أن يتحلّى به المؤمنون هو خلق الرحمة ، وأن من صفات المصطفى التى وصفه الله بها أنه رحيم بالمؤمنين وذلك فى قوله تعالى :

﴿ لقد جآءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتّم حريص عليكم بالمؤمنين رؤوف رحيم ﴾[1]

وإن خلق الرحمة يحول دون كثير من المساوئ ، لأن من يتصف بهذا الخلق الكريم يمتنع عن الايذاء كما يمتنع عن الاضرار ، ويسارع إلى نجدة من لحق بهم ضرر .. ويصعب عليه أن يرى غيره

= **قبل المشرق والمغرب ولكن البر من آمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتاب والنبيين وآتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل والسائلين وفى الرقاب واقام الصلاة وآتى الزكاة والموفون بعهدهم إذا عاهدوا والصابرين فى البأساء والضراء وحين البأس أولئك الذين صدقوا وأولئك هم المتقون﴾** الآية ١٧٧ .

(١) تفسير القرطبى ــ الجزء الثانى ــ الصفحة ٢٤٣ .

(٢) سورة التوبة ، الآية ١٢٨ .

فى شقاء وهو ينتعم بالخيرات .

وقد قال عليه الصلاة والسلام : «**وإنما يرحم الله من عباده الرحماء**» وقال أيضاً :

ـ « **الراحمون يرحمهم الرحمن ، ارحموا من فى الارض يرحمكم من فى السماء** »(1)

وهذه الرحمة التى يتخلق بها المسلم لا تقتصر فى شمولها على بنى الإنسان ، وإنما تشمل أيضا الحيوان ، فلا يقدم المسلم الرحيم على تعذيب حيوان ولو كان مفترسا ، ما دام باستطاعته قتله دون تأخير .. وإن عليه إذا همّ بقتل حيوان أن يحسن القِتلة ، وإذا ذبح أن يحسن الذِبحة .. ويقول عليه الصلاة والسلام فى حديث له : « عُذِّبت امرأة فى هرّة سجنتها حتى ماتت فدخلت فيها النار ، لا هى أطعمتها ولا سقتها إذ حبستها ولا هى تركتها تأكل من خشاش الارض » .

وهناك من استحق دخول الجنة لأنه سقى كلبا كاد يموت من العطش وفقا لما قاله الرسول ﷺ : « بينا رجل بطريق اشتد عليه العطش فوجد بئرا فنزل فيها فشرب حتى خرج فإذا كلب يلهث يأكل الثرى من العطش فقال الرجل : لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذى بلغ منى فنزل البئر فملأ خفه ماء فسقى الكلب فشكر الله له فغفر له . قالوا : يا رسول الله وإن لنا فى البهائم

---

(1) رواها أصحاب السنن . وروى الإمام أحمد فى مسنده قول الرسول ﷺ رواية عن عبد الله بن عمرو بن العاص «**ارحموا ترحموا اغفروا يغفر الله لكم**» .

لأجرا ؟ قال : «**فى كل كبد رطبة أجر**»[1] .

هذه هى توجيهات الإسلام فى الرحمة للانسان والحيوان قدمت بعض نماذج منها ..

الوسيلة الثالثة : الأمـــانة

وإن من الصفات الحميدة التى يتخلق بها المسلم الامانة .

وهذه الصفة لها أثر بارز جدا فى التعامل المادى ، كما أن للصدق أثرا بارزا أيضا فى التعامل ، وأن التخلق بالأمانة يشيع الثقة بين الناس فيقبلون على التعامل مع هذا الإنسان المشهور بالأمين ، وهم على ثقة من سلامة عاقبة تعاملهم معه ..

وقد كانت هذه الصفة ـ إضافة إلى صفة الصدق ـ من أبرز ما عُرف به المصطفى ﷺ وشُهر به بين قومه قبل البعثة ، كما سبق واستشهدنا بذلك ، ولذلك سمى ﷺ بالامين .

وقد كان لهذه الاخلاق تأثيرها فى مسارعة عدد من المؤمنين الاولين إلى اعتناق الاسلام دون تردد ، لما يعرفونه فى الرسول ﷺ من أخلاق حميدة ، وإنه أمين وصادق ولا يكذب على الناس ، فكيف يكذب على الله ؟

وإن الامانة لا تقتصر على الناحية المادية التى هى عنوان الثقة بين المتعاملين اقتصاديا ، وإنما هى تشمل الامانة بالمجالس والامانة بالتكاليف التى بنيت عليها الامور التعبدية ، والتى لم يقبل

---

(١) رواهما الإمام البخارى .

على حملها واشفقن منها السماوات والارض والجبال ، وحملها الانسان .. كما تشمل الامانة ايضا الوفاء بالوعد ومراعاة العهد ، والحكم بين الناس ايضا ..

وهذه بعض آيات من القرآن الكريم تتضمن لفظ الأمانة وما يُراد منها . يقول الله تبارك وتعالى :

- **﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى اهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل إن الله نعما يعظكم به ان الله كان سميعا بصيرا ﴾** [1]
- **﴿ والذين هم لأماناتهم وعهدهم راعون ﴾** [2]
- **﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا الله والرسول وتخونوا أماناتكم وأنتم تعلمون ﴾** [3]

ويقول عليه الصلاة والسلام موجّها المسلمين الى تحرّى الفضل فى تعاملهم ، وأن لا يقابلوا الخيانة بمثلها :

- ادّ الامانة إلى من ائتمنك ولا تخن من خانك .

وقال ايضا : آية المنافق ثلاث :

- إذا حدث كذب . وإذا ائتمن خان وإذا وعد اخلف .

وكان يشدد على التذكير بالأمانة فى كل خطبة له وفقا لما رواه الامام احمد فى مسنده عن انس رضى الله عنه قال :

- ما خطبنا نبى الله ﷺ إلا وقال : « لا إيمان لا أمانة له ، ولا

---

(١) سورة النساء ، الآية ٥٨ .
(٢) سورة المؤمنون ، الآية ٨ - وسورة المعارج ، الآية ٣٢ .
(٣) سورة الأنفال ، الآية ٢٧ .

دين لمن لا عهد له » .

ويجعل ﷺ العلاقة الزوجية أمانة بين الزوجين ، واعظِم بها من أمانة فيقول فى حديث له رواه الإمام احمد فى مسنده عن أبى سعيد الخدرى أنه قال : قال رسول الله ﷺ :

ـ إن من أعظم الأمانة عند الله يوم القيامة الرجل يفضى إلى امرأته وتفضى إليه ثم ينشر سرها .

وعنه ﷺ أنه قال :

ـ لا يجتمع الإيمان والكفر فى قلب امرئ ولا يجتمع الصدق والكذب جميعا ولا تجتمع الخيانة والامانة جميعا[1] .

هذه هى بعض التوجيهات الإسلامية فيما يتعلق بالأمانة وعظم تأثيرها فى التعامل وفى الصلات الاجتماعية والعلاقات بين الزوجين .. ولهذا كانت الامانة من الاخلاق الحميدة التى وصف الله بها المؤمنين وأكد رعايتهم لها .

الوسيلة الرابعة : العـــدالـة

وكذلك العدالة .

إن هذه الصفة لا يمكن أن يتنكر لها مؤمن ، لأن المؤمن يتحرى العدل فى جميع أموره ، ومع جميع من يتعامل معه ، وهو بهذا الخلق يترفع عن أن تجرح عدالته منفعة مادية أو قرابة أو صداقة .. حتى ولا عداوة .

---

(١) رواه الإمام أحمد .

لأن المؤمن يلتزم بأوامر الله ، والله سبحانه يؤكد على وجوب التخلق بهذا الخلق الكريم فيقول :

- **﴿إن الله يأمر بالعدل والاحسان وإيتآء ذى القربى وينهى عن الفحشآء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون﴾** (١)

ويقول أيضا :

- **﴿ إن الله يأمركم أن تؤدوا الامانات إلى اهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل﴾** (٢)

كما أنه سبحانه يخاطب المؤمنين بقوله :

- **﴿يآ أيها الذين آمنوا كونوا قوّامين لله شهدآء بالقسط ولا يجرمنّكم شنآن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى واتقوا الله إن الله خبير بما تعملون﴾** (٣)

وقد قيل بحق : إن العدل أساس الملك . وان تخلق المؤمن بالعدل أمرٌ بدهى لأنه من مستلزمات الايمان .

وليس من العدالة ما نشاهده من تسلط القوى على الضعيف ، والغنى على الفقير ، فى التعامل بين الناس ، كما أنه ليس من العدالة تسلط القوى الكبرى على الدول الضعيفة . وليس من العدالة ما نشاهده فى أيامنا هذه من التمييز بين الشعوب لاختلاف العرق واللون والمعتقد .. وما نشاهده من تخمة بعض البلاد الغنية ، وحرمان كثير من البلاد الفقيرة من مقومات عيشها ..

---

(١) سورة النحل ، الآية ٩٠ .
(٢) سورة النساء ، الآية ٥٨ .
(٣) سورة المائدة ، الآية ٨ .

وقد ذكرت بعض الاحصاءات الاميركية أن ما يُلقى فى القمامة فى عام واحد بالولايات المتحدة يكفى العالم الثالث الجائع لمدة عام كامل .

إن الاسلام يرفض هذا التمايز بين الأفراد كما يرفضه بين الشعوب . والاسلام يحرص على تحقيق العدالة بين الجميع دون استثناء ، لأن الله يأمر بالعدل ، وأنه سبحانه لم يحصر نفاذ هذا الأمر على امة دون أخرى أو على فرد دون آخر ، لأن العباد جميعهم خلق الله ، وأن أحبهم إليه أنفعهم لعياله ، كما أن اكرمهم عند الله اتقاهم .

وهل من العدالة أن يبقى كثير من الملونين منبوذين لأنهم ليسوا من العرق الابيض ؟

وهل من العدالة أن يموت عدد كبير من الجوع ولا يجدون من ينقذهم من هذا المصير المحزن ، وهناك من ينفق الكثير على كلابه وحيواناته ومباذله ؟

وهل من العدالة أن تفرض بعض القوى الكبرى مبادئ غريبة على الشعوب المستضعفة عن طريق الحديد والنار ، وأن يتم التسلط على خيراتهم باسم التحالف المفروض عن هذه الطريق ؟ أو ان تمنع حرية الكلمة وحرية الرأى وحرية التفكير وحرية المعتقد إلا بما يتفق مع هذه المبادئ الغريبة ؟

هل هذا كله من العدالة التى تحرص عليها هيئة الامم المتحدة فى نهاية القرن العشرين الميلادى ؟

وهل من العدالة ان يُهجَّر شعب من أرضه ويحتله دخلاء

أجانب عليه كانوا يعيشون فى دول أخرى ، ويزعمون أنهم أهله من قبل ما يزيد على ألفى سنة .. ؟ بدعم وتأييد كثير من الدول الموقعة على ميثاق الامم المتحدة ، والمتزعمة للحريات ولحركات التحرر لدى الشعوب المستضعفة ؟

هكذا تبدو الصورة فى نهاية القرن العشرين قاتمة إلى درجة محيّرة ، فبينما يجمع العالم كله من الناحية النظرية ـ على المساواة بين الناس ـ ووجوب العدل ، وما إلى ذلك من حقوق الانسان ـ ترى الواقع يخالف هذا الزعم ، بل ويسير فى اتجاه مخالف وبعيد كل البعد عن المساواة والحرية والعدالة الانسانية .

بينما الاسلام رعى حقوق الانسان ورفع من مستوى الشعوب التى آمنت بدعوته ، وقضى على التفرقة العنصرية ، وحقق العدالة بين الناس . حتى اليهود فإنهم لم يجدوا أحدا يحميهم من عدوان الحكام الذين كانوا يعيشون فى بلادهم حتى التجأوا إلى البلاد الاسلامية فنعموا هناك بالعدالة وبالأمن والاستقرار .. وكانت مكافأتهم لنا أن شردوا ابناءنا واحتلوا ديارنا وظاهروا على محاربتنا .. لما تمكنوا من ذلك بدعم من اعداء الاسلام دون رحمة أو شفقة ..

وقد عاتب الله فى كتابه الكريم المؤمنين لتقاعسهم فى نصرة المستضعفين فقال فى كتابه الكريم :

ـ **﴿ وما لكم لا تقاتلون فى سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنسآء والولدان الذين يقولون ربنآ أخرجنا من هذه القرية الظالم اهلها ﴾** (١)

---

(١) سورة النساء ، الآية ٧٥ .

ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم :

- « **ابغونى بضعفائكم فإنما تنصرون وترزقون بضعفائكم** »[1]

وهكذا فإن العدالة أصبحت غريبة عن منطق هذا العالم المعاصر ، ولا يفرضها من جديد إلا عودة إلى دولة العدل والاحسان والرحمة ، دولة الاسلام بمبادئها الانسانية وبأخلاقها المثالية الرفيعة ..

وهذه العودة لا يحققها إلا من عقد العزم على التخلف بما يدعو إليه الاسلام ويريده من اتباعه ، لان الذى نهض بالأمة الاسلامية فى بداية منطلقها هو الذى سيرتفع بها ثانية إلى تحقيق هذه الامنية الغالية ، ﴿**ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوى عزيز** ﴾

(١) رواه الإمام أحمد فى مسنده .

الفصل الثالث
الوســـائل التشريعيــة

إن أى خلق اسلامى لا يؤتى ثمرته إلاّ إذا تخلق به المسلم وظهرت آثاره عليه فى تصرفاته وأقواله .. لأن الإيمان الحقيقى هو ما صدقه القلب وعملت به الجوارح .. وهذا ما يدعو إليه الاسلام ، ويريده من اتباعه ، ولذلك نجد كثيراً من كلمات الإيمان مسبوقة أو متبوعة بكلمة العمل الصالح ، وما يشتق منها .. ولولا العمل الصالح الذى ينبثق عن صدق الإيمان ، لما كان الإيمان حقيقة ثابتة فى القلب ، وإنما كان ادعاء ونفاقاً ..

وقد وضع الإسلام قواعد دعا إلى الأخذ بها لوضع الايمان موضع التطبيق ، ولابراز العمل الصالح عن طريقها ، وان من أبرز هذه القواعد التطبيقية لتحقيق مقاصد الأخوة فى الإسلام هى : الصلوات فى مختلف أوقاتها . وتأتى فى قمتها صلاة الجماعة . ثم أداء مناسك الحج .

صـــلاة الجمـــاعة :

إن صلاة الجماعة لها صور عدة أكثرها تحققاً الصلوات الخمس اليومية ، وصلاة الجمعة ، وصلاة العيدين ، ثم اللقاء الأوسع عند أداء مناسك الحج .

وإن لكل من هذه اللقاءات منافع وثمرات لا شك فى حصولها عندما تؤدى هذه الصلوات ، وهذه اللقاءات على الشكل الذى أراده الإسلام منها .

أولاً : الصلوات الخمس

إن الصلاة جماعة فى المسجد تحقق التقاء الرجال من سكان الحى خمس مرات فى اليوم . ولا شك أن هذا اللقاء اليومى المتكرر يزيد فى التعارف ويجعل الواحد ينظر إلى الآخر أنه أخوه فى الايمان لمشاركته الدائمة له فى عبادة إله واحد ، وفى التوجه إلى قبلة واحدة ، وفى الانقياد إلى إمام واحد ، لأداء شعائر عبادية فى حركات واحدة ..

وإن غياب أحد هؤلاء الإخوة فى العقيدة عن هذه المشاركة اليومية المتكررة يدفع بالباقين إلى التساؤل عن سبب هذا الغياب ؟ والتعرف على الدافع إليه ، فإن كان مريضاً عادوه ، وإن كان مسافراً تعهدوا أهله وقضوا حوائجهم ، وإن مات شيعوه وكفلوا أولاده ، إن وجدوا ضرورة لذلك .

ولما كان هذا اللقاء المتكرر سيزيد فى تعارفهم ، فلا شك أنه سيزيد فى معونة بعضهم لبعض ، وسيسارع بعضهم فى نجدة من هو فى حاجة إلى عون .. إلى آخر ما تحققه رسالة المسجد فيمن يعمره من المؤمنين ، لأن عمارة المسجد المادى لا تفيد وحدها إذا اقتصرت على إقامة البنيان فقط ، ولم يغشاه أو يعمره المصلون ..

ولهذه المعانى وغيرها أمر الشارع بالتمسك بصلاة الجماعة وأكد

عليها ، وأوجب على المسلمين حيث كانوا أن يحققوا فى مجتمعاتهم هذا اللقاء اليومى المتكرر خمس مرات من طلوع الفجر إلى غسق الليل .. وأن يستمعوا إلى من لديه القدرة على الوعظ والتوجيه ، وأن ينتدبوا أنفسهم لدراسة ما يعرض لمجتمعهم من مشكلات ، افرادية أو جماعية ، وأن يتعاونوا فيما بينهم على البر والتقوى ، كما أمرهم ربهم سبحانه وتعالى .

وإن من متممات هذا الخير الذى يشهده المسلمون فى صلاة الجماعة ، أن يفسحوا المجال لنسائهم وأولادهم أن يحضروا مجالس الخير ، وأن يشهدوا معهم الصلوات ـ ما سمحت به ظروف نسائهم ـ كى يستمعوا إلى ما يلقى على المسلمين من مواعظ وتوجيهات . وهذا ما كان حريصاً عليه الرسول ﷺ .. وإن لنا فى رسول الله أسوة حسنة .

وإنه لا بد من ملاحظة أمر له أثره فى تحقيق هذا الوجود المشترك من الرجال والنساء والأولاد ـ عند تيسر تحقيقه ـ أن يراعوا جميعهم ما يفرضه عليهم دينهم من غض البصر وتجنب الاختلاط ، وأن يلبس النساء لباساً ساتراً سابغاً ، وأن يقف الرجال فى الصفوف الأولى ، وأن يقف الأولاد خلفهم ، وتقف النساء فى مؤخرة الصفوف ، وأن لا ينصرف الرجال قبل انصراف النساء .. وأن تكون هناك رقابة على حسن تنفيذ ذلك من بعض من يوثق فى دينهم وخلقهم .

وإن هذا اللقاء اليومى المتكرر لسكان الحى فى الصلوات الخمس اليومية يعقبه لقاء أوسع فى صلاة الجمعة .

ثانياً : صـــلاة الجمعـــة

إن صلاة الجمعة تأتى فى نهاية الأسبوع ، وكأنها تختتم أعمال الأسبوع وتزكيها ، وهى صلاة يسن فيها التهجير (أى التبكير) وسرعة الذهاب إلى المسجد الجامع ، بعد الاغتسال ولبس أنظف الثياب والتطيب ، لكى يلتقى المسلمون وهم على أحسن حال ، وأطيب رائحة .. وأن يكثروا من الاستغفار وقراءة القرآن حتى يحين وقت الجمعة ويصعد الخطيب المنبر ، وهناك يستمع الجميع إلى ما يرى خطيبهم ضرورة فى القائه عليهم .. وبعد إنتهاء الصلاة ينتشرون فى الأرض ، ويبتغون من فضل الله . وقد كان إمام صلاة الجمعة فى عهد النبوة والخلافة الراشدة ، النبى ﷺ ، وخلفاؤه من بعده .. واستمر ذلك فترة طويلة إلى أن تولى شؤون المسلمين من ليست لديه القدرة على تولى خطابة صلاة الجمعة .

وإن هذا اللقاء الأسبوعى المتكرر فى المسجد الجامع يزيد فى التعارف والتآلف والتأكيد على وحدة المسلمين ، وأنهم أصحاب رسالة واحدة ، ويعبدون إلهاً واحداً ، ويتوجهون معاً إلى قبلة واحدة .. وإنهم فى كثرتهم هذه يستطيعون أن يفعلوا متعاونين ما يحقق الخير والقوة لمجتمعهم .. وإن على خطيبهم أن يذكرهم بما يجب على المستطيع منهم أن يسارع إلى عون أخيه عند اقتضاء الحاجة ، أو فى التعاون فى تنفيذ بعض المشروعات التى تعود عليهم جميعاً بالنفع المشترك ، أو فى تعاونهم فى دفع مكروه نزل بهم ، أو فساد يخشى من انتشاره .. إلى آخر ما يجد الخطيب ضرورة فى التنبيه إليه أو التحذير منه ..

ثالثاً : صـــلاة العيــدين

إن صلاة العيد تتكرر فى مناسبتين يلتقى فيهما المسلمون على صعيد واحد خارج العمران ـ إن أمكن ذلك ـ ولم تكن فيه مشقة على المسلمين الأولى فى عيد الفطر بعد أن ينتهى الناس من صيام شهر رمضان ، فتكون لهم فى ذلك فرحتان ، فرحة الفطر ، وفرحة العيد الذى أعقب هذا الشهر مكافأة لهم ، وترفيهاً عمّن صامه .. ولذلك يحرم صيام يوم العيد .

وفى هذه الصلاة يسن أن يحضرها النساء ولو لم يستطعن الصلاة ، لكى يشهدوا مع المسلمين مواسم الخير..

والثانية : فى صلاة عيد الأضحى الذى يأتى صبيحة يوم عرفة حيث يلتقى الناس هناك على صعيد عرفة ، يسألون الله تعالى عفوه وغفرانه ..

وإن هذا العيد له ذكريات عدة ، ومن أبرزها الفداء الذى نزل على سيدنا إبراهيم عليه السلام ، والذى أصبح سنّة من بعده ، أخذ بها الرسول ﷺ وندب إليها .. وذلك بتضحية كبش لمن يستطيع شراءه ، وتوزيع بعض من لحمه على الفقراء وبعض من لحمه على الأقرباء والأصدقاء ، والانتفاع ببعضه الباقى ، أو توزيعه كله .

رابعاً : اللقاء السنوى العام على صعيد عــرفة

وهناك لقاء واسع ، هو اللقاء السنوى العام الذى يأتى إليه المسلمون من كل حدب وصوب ، ليشهدوا منافع لهم وليذكروا

اسم الله .. وليؤدوا مناسك الحج أو العمرة أو كليهما ..

وفى هذا اللقاء الذى يجتمع فيه عدد كبير من مسلمى اقطار الأرض على اختلاف ألسنتهم وألوانهم تتجلى الأخوة الاسلامية فى أجلى مظاهرها ، وذلك عندما يلبون بصوت واحد ، ويؤدون مشاعر واحدة ويتجرد الرجال من ثيابهم العادية ويلبسون ما يذكرهم بتجردهم عما جمعوه من متاع الدنيا وتخليفهم له وراءهم ، وتوجههم إلى الله سبحانه بالتلبية والاستغفار والدعاء استعدادا للقائه ..

إن هذا اللقاء السنوى العام يجعل الواحد من حجاج المسلمين ينظر إلى أخيه فى الدين الذى هجر دياره وعياله ، وجاء ليلبىّ دعوة الله ، انه مثله ، وأن هدفه من هذا المقصد واحد وأن الشعوب الاسلامية على اختلاف اجناسها وألوانها والسنتها إنما أمة واحدة هى الأمة الاسلامية التى تبنى علاقاتها على أخوة الإيمان ، وأن يدهم واحدة على من سواهم ، وأن أمرهم شورى بينهم ، وأن التعارف والتناصر والتعاون هو من أولى واجباتهم ، وأنهم اجتمعوا فى هذا المكان لمدارسة أحوالهم والتعرف على حاجاتهم والاستعانة بعضهم ببعض .. ونقل ما شاهدوه وما سمعوه إلى من خلفوهم وراءهم ليشاركوهم فى هذه المعرفة وفى هذا الشعور ، وبذلك يتحقق مقصد من أبرز مقاصد الأخوة فى الاسلام وهو التعارف والتعاون والتناصر على مستوى الأمة الاسلامية .

وكثيراً ما يحدث نتيجة لهذا اللقاء السنوى العام أن يتبادل بعض الحجاج المراسلات مع بعضهم الآخر ، ممن وقع التعارف بينهم فى

هذا اللقاء ، وكذلك تبادل زيارات ، مما يشد فى آصرة الأخوة الايمانية ..

وقد كانت هذه الوسيلة ـ ولا تزال ـ هى أكبر عامل فى لقاء أكبر عدد من أبناء الأمة الاسلامية على صعيد واحد ، وهى تتجدد كل عام على مختلف الفصول .. وهى فى الحقيقة مؤتمر إسلامى عام متجدد لا شك فى جدواه .

وأن هذا اللقاء السنوى ـ على مستوى العالم الاسلامى ـ يجب أن يحظى باهتمام المسؤولين فى كل بلد من بلدان العالم الاسلامى ، بأن يشارك فيه من يستطيع ، وأن لا يكون ملتقى للعجزة والمتسولين .. وأن يعرف كل من رغب فى أداء نسك الحج أو العمرة واجباته ومسؤولياته وكيفية أداء مناسكه ، وأن يتيقن من أنه قد لاقى بعض المشقات ، وأن عليه أن يتحمل بصبر ما يلاقيه ، وأن عليه أيضاً أن يبتعد عن كل ما يضيع عليه حجه ، وأن يتجنب الإيذاء ، وأن لا يقابل السيئة بمثلها ، لأن الحج المبرور ليس له جزاء إلاّ الجنة .

كما أن على الراغب فى أداء فريضة الحج أن لا يتوجه إلى أداء المناسك إلاّ بعد أن يكون قد تزود بما يكفيه ويزيد عليه ، من نفقات الطريق والإقامة والعودة .. وغيرها ، وأن لا يكون عالة على غيره ، وأن يكون (هو) قادراً على مد يد العون لمن انقطعت به الأسباب .. لأن شعيرة الحج تمتاز على باقى الشعائر الاسلامية بأنها تتكون من عبادة خالصة لله سبحانه ، ومن بذل فى سبيل تحقيق هذه العبادة ، ومن عمل فى الحل والارتحال ..

وليعلم كل حاج أن هذا التجمع السنوى يعكس حقيقة المجتمعات الإسلامية ، وما هى عليه من واقع ، فلا يكونن موضع مؤاخذة أو نقطة ضعف .. بل عليه أن يكون بالتعاون مع باقى اخوانه من الحجاج أمثلة حسنة فى التنظيم والنظافة والتعاون والبذل والتحمل والايثار ..

كما أن الواجب على أصحاب الاختصاص من الحجاج أن لا يضنوا بخبراتهم وقدراتهم إذا اقتضتها الضرورة كالأطباء والممرضين ومن شاكلهم من أهل النجدة والمروءة فى تقديم كل عون والمسارعة فى ذلك .. لأن الحج ، وبخاصة فى أيام الحر الشديد ، يتطلب بذل جهد كبير فى اسعاف المصابين من ضربات الشمس أو غيرها من الأمراض الوافدة ..

ومن لا يلتزم بهذه التوجيهات فإنه يتحمل إثماً قد يبطل حجه ، ويكون بسوء تصرفه قد أساء لنفسه وأساء لغيره ، وكان أيضاً سبباً لتصرف بعض المشاركين من الحجاج فى أن لا يشجعوا غيرهم على أداء هذه الفريضة لما لاقاه بعض منهم من سوء تصرفات بعض الحجاج فى مواسم سابقة ..

وأن الله سبحانه وتعالى عندما فرض الحج على عباده أكد لهم أنهم عند أدائهم لمناسك الحج سيشاهدون منافع لهم .. وأن الاساءة والايذاء ممن فرض على نفسه الحج لإخوانه من الحجاج يضيع عليه على غيره مشاهدة هذه المنافع ، ونقلب هؤلاء إلى بلادهم موزورين غير مأجورين ..

أما من يدرك الغرض من هذه الفريضة ، ويتجنب كل ما يخدشها ، ويلتقى مع اخوته الحجاج باشا فى وجوههم ، ميسراً لهم أمورهم ، وحريصاً على معاونتهم ونفعهم ، ويتحمل اذاهم ـ إن وقع أذى ـ دون مقابلة بالمثل ، فانه لا شك من الفائزين ، وأنه من المغفور لهم ، لأن الحج المبرور يجب ما قبله .. وهذه مكرمة من الله سبحانه تفضل بها على عباده ليخلصوا له العبادة ولكيلا ييأسوا من رحمته ، وليفوزوا بعفوه ورضوانه .

الفصل الرابع

الوســائل التطبيقيــة

أولاً : تعاون المسلمين وتكافلهم فى المجتمعات الصغيرة

ينبثق عن الإلتقاء اليومى المتكرر فى مسجد الحى لأداء الصلوات الخمس ، أن يعرف المسلمون بعضهم بعضا ، كما سبق وذكرت ، وأن هذه المعرفة تكشف لهم عن قدرات كل منهم وامكاناته ، واسهامه فى العمل المشترك الذى يعود بالنفع عليهم جميعاً ، وأنهم بهذا التعارف يستطيعون أن يوجدوا لهم مجلساً خاصاً بهم يسمى مجلس الحى ، أو مجلس المنطقة ، وأن تدون فيه أسماء الأفراد جميعاً ، وأعمارهم وأجناسهم ، وعمل كل منهم ، ومدى ما يمكن أن يؤديه بعضهم لبعض ، من خدمات ، وينظرون ما ينقصهم من أمور ضرورية يمكن تداركها ، وهل الخدمات التى تقدم لهم من الجهات المختصة كافية ، أو لا بد لها من تقوية وتوسيع ؟ وأن يتولى من يقدر منهم على مراجعة المختصين ، والاستفادة من معارفه بينهم ، عبء الاتصال بهذه المراجع لمساعدة أبناء حيهم فى الحصول على ما هم فى حاجة إليه وفى تجنيبهم ما يمكن أن يضر بهم ..

أما إذا كان المسلمون أقلية ، وفى بيئة لا تساعدهم السلطات

على تحسين أوضاعهم ، فإن واجب التعاون فيما بينهم ، يكون لازماً على كل حسب طاقته ، بما ينهض بمستواهم .. إلى آخر هذه الأمور التى يوجبها مجمع الأخوة فى الاسلام .. وأن يتعاون مجالس الأحياء بعضها مع بعض ، وأن يتشكل من بعض مندوبى هذه المجالس مجلس أعلى للمدينة أو القطر لينظر فى أوضاع المسلمين بشكل عام ..

إن مثل هذه الأمور قد لا تكون ضرورية فى بعض بلاد العالم الإسلامى ، غير أنها تكون واجبة التحقيق فى كثير من البلدان حيث لا سلطان للإسلام فيها ، أو حيث يكون المسلمون أقلية ، ليتمكنوا من فرض أنفسهم واسماع كلمتهم والحصول على حقوقهم .. لأنهم باعتمادهم على أنفسهم يستطيعون تحقيق الكثير مما يبتغونه ، إذا صدقت وصحت العزائم .

وإن هذه الملاحظات موجهة بالدرجة الأولى إلى أبنائنا وأقلياتنا فى الخارج حيث لا توجد قوة تحميهم وتدافع عن حقوقهم ، وحيث تقضى الحاجة إلى تضافر القوى وجمع الجهود وتوحيد الكلمة .. واعتماد مسؤول منهم تكون له الكلمة المسموعة فيهم ، يعاونه فى ذلك مجلس استشارى .. كل ذلك ضمن حدود الامكان ، وما تفرضه الأحوال والظروف ..

وإن إنتظار مساعدة تأتيهم من غيرهم ـ وبخاصة ممن لا يدين بدينهم ـ أمر لا يحمد عقباه لأنّ هذه المساعدات لا تأتى مجردة عن دوافع وأغراض ، وقد تكون مشروطة فتشىء أكثر مما تحسن ، وقد تنقطع هذه المساعدات لسبب من الأسباب ، فتضيع جهود من

كان يعمل عن طريقها .. ولهذا فإن الاعتماد يجب أن يكون على الله وحده ثم على جهود العاملين المخلصين من أبناء المسلمين تأسياً بما كان عليه الرسول ﷺ فى منطق دعوته ، فإنه لم يتنزل عليه كنز ولم يسعفه كسرى أو قيصر ، وإنما اعتمد على أمواله وأموال زوجته وأموال من آمن به من أصحابه السابقين ..

ولو أنهم انتظروا أن تأتيهم المساعدات ليعملوا ، لطال انتظارهم ، أو لكانوا اداة طيعة لمن قدم إليهم المساعدات ، ولما تمكنت الدعوة من فرض نفسها والانتشار فى مثل هذه المدة من الزمن ، وأن تصل راياتها إلى أقصى بلاد المعمورة خفاقة عالية ..

وإننى لا أقصد من هذا القول أن يأبى العاملون قبول مساعدة إخوانهم ــ هذه المساعدة غير المشروطة ــ ، وإنما أريد من قولى أن لا يتوقف عمل العاملين على إنتظار ورود مثل هذه المساعدات .

وإن من واجبات هذه المجالس المحلية أن توسع من نشاطاتها ، وأن تفيد غيرها بما سبق وتوصلت إليه ، وأن تستفيد هى من أسبقيات الآخرين ، وأن تتشكل فى هذه المجالس جمعيات تعاونية على مستوى محلى .. وأخرى على مستوى أوسع ، وأن يتعاونوا جميعاً فى استثمار أموالهم بطرق مشروعة ، وأن يخصصوا منها جزءاً لتغطية حاجاتهم المشتركة ، ذات الطابع العام ، وأن يوجدوا بتعاونهم هذا أماكن للعمل تمتص البطالة ــ إن وجدت ــ ، وأن يتكون من بينهم متدربون مهنيون أكفاء ، لأن الأعمال الحرة تعود بفائدة عظمى على الأفراد وعلى المجتمعات .. إذا ما صاحبها الاتقان فى العمل والجودة فى الانتاج والصدق فى المواعيد .. وأن تتشكل

منهم هيئة قضائية لحل الخلافات فيما بينهم ـ هذا لمن لم يكن فى بلد يخضع الحكم فيه للتشريع الإسلامى ـ وأن يكون حكمها نافذاً بينهم .

وعن طريق هذه المجالس والهيئات والتعاونيات يتماسك الأفراد بعضهم ببعض ويقوى مجتمعهم ويكونون مثلاً واقعياً لغيرهم ، ويتمكنون من تقديم المساعدة لمن يحتاج إليها من إخوانهم فى الدين وفى الانسانية ، لأن المسلمين متكافلون متضامنون وهم يد على من سواهم .. وهم أداة خير وسلام ، ونظرتهم إلى غيرهم أنهم بشر ، وإن الله كرّم بنى آدم .. وإن التفاضل بين الناس يكون بالتقوى وبالعمل الصالح ، وإن أقربهم إلى الله واحبهم ، أنفعهم لخلقه ..

ثانياً : ضرورة العمل المشترك

إننا إذا رجعنا إلى تحليل معنى قوله تعالى : ﴿**إنما المؤمنون اخوة**﴾[1] تحقق لنا أن المراد من هذا الوصف أنهم بمجموعهم أخوة ، وأن الواحد منهم مرتبط بأخيه برباط الإيمان ، وأنهم لا شأن لهم إن كانوا متفرقين ، لأن الواحد لا يغنى حتى عن نفسه .. إذ لا بد له ممن يتعاون معهم فى تحقيق مصالحهم المشتركة ، ولذلك وجدنا الخطاب فى كثير من آيات القرآن الكريم يرد بصيغة الجمع ﴿**وقل اعملوا .. يآيها الذين آمنوا .. إن المؤمنين والمؤمنات .. وتعاونوا على البر والتقوى .. يد الله فوق أيديهم .. انفروا خفافا**

(١) سورة الحجرات ، الآية ١٠ .

وثقالا .. وأمرهم شورى بينهم ..﴾ إلى كثير من أمثال هذه الآيات الكريمة التى يستفاد منها الروح الجماعية والتناصر ، والتعاون المشترك بين المسلمين .

وهذا لا يعنى أن الفرد غير مؤاخذ ومسؤول ، وإنما يراد منه أن يشعر المسلم بضرورة تعاونه مع أخيه المسلم فى الأمور التى لا بد من تضافر قواهم لتحقيقها .. وأنه إذا ما تخلّف أحد عن هذه المشاركة كان مسؤولاً عن ذلك بشخصه .

وإن من المواجب على كل مسلم أن يحقق فى نفسه ما يرجو أن يجده لدى أخيه المسلم ، وأن يكون هو ذاته متخلقاً بالصفات الاسلامية التى تجعله موضع ثقة أخيه المسلم ، وأن يجد فى تصرفاته ما يشجع غيره على التعاون معه ، أو انتظار سرعة استجابته للنجدة عند تحقق وجوبها .

لأن معنى الأخوة فى الاسلام لا يتحقق إن لم يكن هناك بين المسلمين تراحم وتعاطف وتناصر وتعاون مشترك ، وكأنهم جسد واحد ، أو بنيان مرصوص .

ولذلك فإن كل فرد مسلم مسؤولاً مسؤولية مستقلة عن أن يحقق فى نفسه هذا الاستعداد الذى ينتظره منه أخوه المسلم ، وأن يبادر من تلقاء نفسه إلى مشاركة إخوانه فى السراء والضراء ، وأن يحافظ على الالتقاء معهم فى جميع المناسبات التى أوجدها الاسلام ودعا إلى المشاركة فيها ..

وقد سبق وأوضحت بعض المقصود من صلاة الجماعة ومن اللقاءات المتكررة للمسلمين فى (ناديهم المشترك) أى فى المسجد ،

مسجد الحى فى الصلوات الخمس ، والمسجد الجامع فى صلاة الجمعة وصلاة العيدين .. أو على صعيد عرفات .. وأن هذه اللقاءات تنبثق عنها منافع كثيرة جداً .. وأنه لو انفرد المسلم عن باقى إخوانه وأدى الصلوات المكتوبة فى بيته ، وتابعه فى ذلك آخرون ، فإن الحكمة من هذه اللقاءات المتكررة لا تتحقق .. ولذلك وجدنا تشديد المشرع على المتخلف عن صلاة الجماعة ..

وكذلك لو اقتصر كل مسلم على الاهتمام بشخصه دون الالتفات إلى من يشاركه فى العقيدة ، وفى الجوار وفى البلد وفى الدولة .. لسارع الانحلال إلى هذا المجتمع المتفكك ولأصبح طعمه للآخرين ، ولما تحقق عنه أى خير . وهذا أمر مخالف لطبيعة الأشياء .

هذا وأن داء الانفرادية وانصراف كل فرد إلى مشكلاته الخاصة والاكتفاء بها دون اهتمام بمشكلات الآخرين هو من الأمور التى حاربها الإسلام . وقد ورد فى الأثر «**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**» .

وإن الاهتمام بأمر المسلمين هو أيضاً اهتمام بمصالح الفرد الذاتية ، وأن تخاذل المسلمين فى نصرة بعضهم سيعود ضرره عليهم جميعاً ، وسيذوق كل فرد منهم وبال تخاذله عن المسارعة فى مد يد العون إلى غيره عند اقتضاء الضرورة .

وإن المشرّع الاسلامى قد لاحظ منذ بداية انطلاقة الدعوة الاسلامية فى المدينة المنورة ضرورة إيجاد الوسائل التى تساعد على جمع الكلمة وتوحيد الصف ، وتحقيق اللقاءات المستمرة ، فأمر

ببناء المسجد الجامع ليكون ندوة عامة يلتقى فيه المسلمون خمس مرات فى اليوم ، يتشاورون فيه ويتبلغون ما يجب عليهم سماعه من التوجيهات أو الأوامر التى تهم جميع المسلمين .:

وكذلك فقد سارع الرسول ﷺ إلى عقد المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار وهم آنئذ نواة المجتمع والدولة المسلمة ـ وأكرم بها من نواة ـ ليجتمع شملهم وتتوحد كلمتهم ، وليشعروا بأنهم إخوة فى الدين ، وأن عليهم يقع عبء نشر الدعوة الاسلامية وتبليغها الناس ، وقد كانوا كذلك وحققوا فى مجتمعهم الإسلامى الأول من معانى الأخوة ما يشهد لهم التاريخ بذلك ، وما شهد لهم به الله سبحانه ، وكفى به شهيدا .

وهذا وإن الانفرادية لا تقتصر على الانعزال عن مجتمعات الناس والبعد عنهم ، ومعالجة كل فرد من المسلمين مشكلاته بمفرده .. وإنما هى الإصرار على إتخاذ مثل هذه الحال الانعزالية والتصرف المفرد دون استعانة بإخوانه أو استشارة لهم .. وهذا شأن الحكام المستبدين أو الاداريين المتسلطين الذين يظنون بأنفسهم القدرة على التصرف بالأمور دون حاجة إلى الاستعانة بآراء غيرهم .

وقد ثبت من تجارب الحياة أن الحاكم أو الرئيس الإدارى يجانبه الصواب فى كثير من تصرفاته نتيجة الانفرادية فى الرأى أو فى التصرف فى الأمور ، خلافاً لمن يستعين برأى الآخرين ، ويشركهم معه فى المسؤولية .

وإن هذه الانفرادية ، كما توجد بالفرد ـ حاكماً أو محكوماً ـ رئيساً ادارياً أو مرؤوساً ، فإنها أيضاً واردة بالنسبة لشعوب العالم

الإسلامى ، عندما ينفرد المسؤولون فيها بتصرفاتهم دون تعاون أو تشاور مع باقى إخوانهم فى البلاد الاسلامية الأخرى .

وكلنا يلاحظ أثر هذه الانفرادية فى واقعنا الاسلامى ، وكيف أنها تقضى على قدراتنا وإمكاناتنا ، وتجعلنا طعمة سهلة لمن أراد أن يستغل هذه الانفرادية ويهاجم كل شعب على حدة .. والآخرون يقفون منه موقف عدم المبالاة ، وكأن الخطر بعيد عنهم ، حتى يأتى (دورهم) فينفرد بهم أيضاً ويفرض عليهم سلطانه .

المراجــع

١ ـ **القرآن الكريم**
٢ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم** محمد فؤاد عبد الباقى
٣ ـ **المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوى** ونسك آخرون
٤ ـ **أصول النظام الاجتماعى فى الإسلام** محمد الطاهر بن عاشور
٥ ـ **النهاية فى غريب الحديث والأثر** ابن الأثير (مجد الدين الجزرى)
٦ ـ **سيرة بن هشام** ابن هشام (عبد الملك بن هشام)
٧ ـ **نظام الحكم فى الشريعة والتاريخ الإسلامى** ظافر القاسمى
٨ ـ **منتخب كنز العمال فى سنن الأقوال والأفعال** على هامش مسند الإمام أحمد بن حنبل
٩ ـ **المدخل الفقهى العام** مصطفى أحمد الزرقا
١٠ ـ **أعلام الموقعين** ابن قيّم الجوزية (شمس الدين محمد بن أبى بكر)
١١ ـ **البداية والنهاية** أبى الفداء (عماد الدين اسماعيل بن كثير)
١٢ ـ **حياة الصحابة** محمد يوسف الكاندهلوى
١٣ ـ **مختصر تفسير ابن كثير** محمد على الصابونى
١٤ ـ **المعاملات** على فكرى
١٥ ـ **الأدب المفرد** للإمام البخارى
١٦ ـ **صفوة التفاسير** محمد على الصابونى
١٧ ـ **الجامع لأحكام القرآن (تفسير القرطبى)** محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى

المحتـــويات

الصفحة

الباب الأول
إنما المؤمنون أخوة

الصفحة

الباب الثانى
غايات ومقاصد الاخوة فى الاسلام

الصفحة

الباب الثالث
وسائل تحقيق الاخوة فى الإسلام

آثار المؤلف

المطبوعة

١ ـ الدساتير السورية بعد الانتداب (دراسة دستورية مقارنة) باللغة الفرنسية

٢ ـ المدخل الى القانون المدنى والالتزامات ـ طبع كلية التجارة بحلب

٣ ـ الشورى فى الإسلام دار الإرشاد ـ بيروت

٤ ـ فى التشريع النبوى دار الإرشاد ـ بيروت

٥ ـ الاقتصاد فى ضوء الشريعة الإسلامية دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت

٦ ـ المال فى الإسلام دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت

٧ ـ السوق الإسلامية المشتركة دار الكتاب اللبنانى ـ بيروت

٨ ـ الأوراق التجارية (دراسة لنظام الأوراق التجارية السعودى) المؤسسة العلمية ـ حلب

٩ ـ الشركات التجارية (دراسة لنظام الشركات التجارية السعودى) المؤسسة العلمية ـ حلب

١٠ ـ الأسس العلمية والفكرية للاقتصاد الإسلامى دار الرفاعى ـ الرياض

١١ ـ ماعنى الأخوة فى الإسلام ومقاصدها

قيد الطبع

١٢ ـ خصائص الاقتصاد الاسلامى وضوابطه الاخلاقية .

١٣ ـ المصارف الاسلامية ضرورة حتمية .

١٤ ـ مقام المرأة فى الاسلام .

١٥ ـ تدخل الدولة فى الأمور الاقتصادية .

١٦ ـ أعمار الأرض فى الاسلام .

١٧ ـ العدالة والتوازن فى توزيع الثروة فى المجتمع الاسلامى .

١٨ ـ تمويل الدولة الاسلامية فى منطلق الدعوة والخلافة الرائدة .

١٩ ـ مشروعية القتال فى الاسلام .

٢٠ ـ البحث العلمى وتحقيق المخطوطات .

٢١ ـ نظرات ابن خلدون الاقتصادية .

٢٢ ـ الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فى المال والاقتصاد .

٢٣ ـ تصنيف موضوعات القرآن الكريم .

